من تراث الجزيرة العربية
المخلاف السليماني
صبياء
١٣

بائية الذروي في ميزان النقد

توثيقاً، ودراسة، وتحقيقاً، وتحليلاً

القرن السابع الهجري

د. عبد الله بن محمد أبو داهش
أستاذ ورئيس قسم الأدب والبلاغة والنقد
في كلية اللغة العربية بالجنوب



الطبعة الأولى
١٤١٣هـ / ١٩٩٣م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة، والسلام على رسوله الأمين، وبعد: فيظل البحث العلمي الجاد المنصف سبيلا لتحقيق بعض الرؤى العلمية التي قد يختلف فيها بعض الباحثين، أو يودون تحقيقها، و دراستها، ومن هذه القضايا: ما يدور حول حقيقة قصيدة القاسم بن على الذروي، من آراء وروايات، فلقد اختلف عدد من مؤرخي الأدب في جزيرة العرب حول اسم قائل هذه القصيدة، ومناسبتها، وبخاصة في بلدان: الحجاز، والمخلاف السليماني، واليمن.

وإذا كان مؤرخو الحجاز، قد خالفوا إخوانهم في تهامة، وتساهلوا في تقصي أخبار هذا الشاعر، فإنما هو أمر متوقع لما قد يكتنف هذه الأخبار من القصور والاضطراب، فضلا عن بعد الحجاز عن موطن أحداث هذه القصيدة وصاحبها، ولأن أولئك المؤرخين اعتمدوا - فيما يبدو - على الرواية، دون الدارية الفعلية الميدانية، ناهيك عما يفترض عند الباحثين المحققين من اختلاف وتباين، وما قد يصيب المصادر الأولية المخطوطة من السقط، أو التحريف، وبخاصة عند نسخها، أو تحقيقها، ولعل من أشهر هؤلاء المؤرخين الحجازيين: عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي المكي [1] (١٠٤٩ - ١١١١هـ)، في كتابه: «سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي»، وأحمد السباعي [2] في كتابه: «تاريخ مكة».

أما مؤرخو المخلاف السليماني، واليمن، فقد أجمعوا كلهم على أن هذه القضيدة من إنشاء القاسم بن على الذروي، وهو في سجن المظفر الرسولي[٣] (٦١٩ ـ ٦٩٤هـ)، ولا يكادون يختلفون إلا في رواية بعض أبيات هذه القصيدة. أو في مكان سجن صاحبها، أهو في: زبيد[٤]، أم في تعز[٥]، ولعل من أشهر أولئك جميعا: أحمد بن صالح بن أبي الرجال[٦] (١٠٢٩ ـ ١٠٩٢هـ) في كتابه المخطوط: «مطلع البدور ومجمع البحور»، إذ يبدو أن هذا المصدر من المصادر الأولية المهمة التي استوعبت أخبار هذه القصيدة، وكانت رافدًا علميًا لمثل هذه الأخبار، وما اتصل فيها من بعد ذلك من ذيوع لذكرها، واتساع لخبرها.

ومهما يكن الأمر، فإن مما سيعمد له الباحث: في تحقيق هذه القصيدة، وتوثيقها أنه سيخضع تلك المصادر جميعها لشيء من التوثيق والدرس العلمي، وسيبديء رأيه بشيء من التجرد والإنصاف، فإن أصاب فله أجر بإذن الله، وإن أخطأ فيرجو أن لا يحرم أجر المجتهد، فمن الواضح أن هذه الآثار تستحق العناية والاهتمام، فلقد شاع ذكر هذه القصيدة، وعرفها الناس، بل إنها مفيدة مهمة قد تسد نقصا ظاهرا في التاريخ الأدبي المشهود، وهي مع ذلك لم تكن مهملة منسية، وإنما نالت من قبل شيئا من عناية بعض الباحثين المعاصرين، واهتمامهم.

وتأتي أهمية هذه القصيدة في كونها قيلت بدافع إنساني نبيل، وأنها صدرت عن تجربة حقيقية، مما زاد في قيمتها،

وحقق أهميتهـا، فلقـد انتظمها شعور صادق حزين، واكتنفها دافـع إنسـاني ظاهـر، وإحساس معنوي صادق، فلقد حمل الذروى في حياته من قبل هذا همة بعيدة المنال، واسعة الرؤى لم تكد تهدأ، أو يستقر بها الأمل حتى وقع في سجن خصمه المظفر الرسولي ملك اليمن التهامي عندئذ، وهناك في السجن استشعر إنسانيته، وتمثل ضعفه فأنشد هذه القصيدة، وصدح بها في حزن، علّه يُسْمَع صوته، أو تُعْرَفُ شكواه، فكان صادقا فيما قال، أمينا فيما ذكر، وأنّى لمثله بمخرج؟

لقد حزن الذروي فأبدى وجده، واستكان فكاد يفقد منهج قوته، وفتوته وبأسه، عاد مهموما مكسور الخاطر، حزين الفؤاد، يبعث الشكـوى، ويـظهـر الألم، ولم يلبث حتى أذكى شعوره الدفين، ومزجه بروح الأمل، فكان حقا: الأمير النابه، والشاعر الإنسان، لم يشأ أن يهمل التوازن بين همته، وأمله، بل أخذ يوازن بينهمـا في روح عاليـة، ونفسيـة معتدلة، حتى أحكم التوازن بينهما، وعبّر عن موقفه بجدارة واقتدار، مما أفضى إلى التعاطف مع تجربته، وإظهار قيمة الأدب التهامي عندئذ الذي لم يصرفه البديع، ولا التكلف الإسلوبي عن حقيقة رسالته، بل عُدّ هذا النتـاج ممثلا لحلقة مفقودة من تاريخ الأدب العربي بهذه الأنحاء.

ولقد كان همي مذ أمد بعيد الوقوف مع هذه القصيدة، في تحليلهـا، ودراستهـا، وتحقيقهـا: حيث تم الأمـل الأول وهو: التحليل في دراسة أدبية سابقة.. وكان الأمل الثاني هاجسا

علميا لم يكد يتحقق لي إلا حينما منّ الله سبحانه وتعالى عليَّ بنسختين خطيتين، إحداهما محلية، والأخرى غير ذلك. مما أفضى إلى الرغبة في تحقيق هذا الأمل، ومحاولة إظهاره في هيئة تحقيق هذا الأثر بصورة علمية مقبولة من خلال الوقوف مع هذه القصيدة في شيء من أسباب: الدراسة، والتوثيق، والتحقيق، والتحليل، لعل مَنْ تدعوه همته من الدارسين المعاصرين لإصلاح المنهج الأدبي القائم يفيد من هذه القصيدة، ويسد بها نقصا قائما مشهودا، وإزاء ذلك كله، أشكر الله ذا الفضل، وأحمده حمدا متصلا يليق بجلاله، وعظيم سلطانه، ثم أشكر منْ أسهموا معي بجهودهم في العمل على توثيق هذا النص وتحقيقه، وأخص بذلك الأخ الدكتور: أحمد بن حافظ الحكمي الذي تفضل بتزويدي بصورة من القصيدة الواردة في مخطوط: «مطلع البدور، ومجمع البحور» لأبي الرجال، فله مني الثناء والتقدير، وأقول: ﴿رَبِّ أَوْزِعني أن أشْكُرَ نِعْمتَك التي أنْعَمتَ عليَّ وعلى والِدَيِ، وأنْ أعْمَلَ صالحًا ترضاه، وأصلح لي في ذُريتي إني تُبْتُ إليك وإني من المسلمين ﴾(٧)

وصل اللهم وسلم على رسولك الأمين محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه

عبدالله أبو داهش

أبها - كلية اللغة العربية

شعبان ١٤١٣ هـ

أولا : التوثيق، والدراسة

القاسم بن علي الذروي :

نسبه، ومولوده :

هو : شجاع الدين[٨] القاسم بن على بن محمد[٩] بن غانم بن ذروة[١٠] بن يحيى بن داود بن أبي الطيب الحسيني العلوي[١١]، من الأمراء الغوانم المعروفين بتهامة[١٢]، لم تحدد المصادر تاريخ ولادته، وإنما دلت على أنه كان حيا في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وأنه عاصر المظفر الرسولي الذي حكم اليمن التهامي عبر الفترة (٦٤٧ ـ ٦٩٤هـ)، إذا كان بينهما وقائع حربية معروفة، فلعل ولادته كانت في الربع الأول من القرن السابع الهجري، أو بعده بقليل، وإذا صحّ أن نسبه يتصل في علي بن محمد الذروي[١٣] الذي كان حيًّا في سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، والذي باشر العمل السياسي في تهامة في غضون الفترة (٦١٠ ـ ٦٢٤هـ)، فإن من المحتمل أن يكون القاسم بن علي الذروي قد ولد عندئذ، أو كاد زمانه يبشر بولادته، يقول محمد بن أحمد العقيلي في حال هذه الأسرة الذروية : إنه قتل المرتضى بن قاسم بن غانم عام ٦١٠هـ/ ١٢١٣م،وأنه ولي الأمر بعده أخوه المؤيد الذي لم يلبث في إمارة المخلاف السليماني حتى أسر، فولي الأمر بعده على بن محمد بن ذروة[١٤] الذي يعتقد أنه ظل أميرا لتلك الأنحاء إلى نهاية الربع الأول من القرن السابع الهجري، مما يحقق الظن أن القاسم ابن على الذروي قد ولد في تلك الأثناء، أو كاد.

صفـــــاتـه :

يتصــف القــاسـم بن على الذروي بخــلال حميـدة، وصفـات محمودة، تمثلت في: سمو همته، وشجاعته، وما كان يتخلق به في حيـاتـه من: المكـارم، والنبـل، ممــا أكسبه ثناء معاصريه، من: المؤرخين، والشعراء، وجعله علما يعرفه كثير من الناس، يقول أبو الرجـال في معـرض ترجمته له بأنه: «صاحب المخلاف وسلطانه وواحـدة بلا خلاف، وإنســانــه كان جليلا نبيلا مفضالا ممدوحا بالشعــر موفوداً إليه»[١٥]، وقال الحسن بن أحمد عاكش[١٦] بأن القاسم الذروي: «كان أميرًا كبيرًا مشهورًا فصيحًا»[١٧]، وقال عنه عبدالله بن على العمودي[١٨] بأنه : «كان ملكًا جليلًا فاضلًا نبيلًا منيلًا»[١٩]، وليس بخاف أن مَنْ يؤتى هذه الخلال، فإنما أوتي خيرا كثيرا.

ولربما كان وقع مدائح الشاعر ابن هتيمل[٢٠] في مواطنه القاسم الذروي أظهـر أثـرًا، وأوضح ذكرًا، إذ يبدو أنه صرف عددا من قصائده نحو مدحه، والثناء عليه، مما جعله يصبغ حياته بشيء من مظاهر القبول، والثقة، فلقد كان الناس في تهامة إذا طربوا لسماع تلك الخصـــال، يقــول: «بعضهم لبعض اسمعنـــا قول قاسم في قاسم»[٢١]، وتلك حظوة متميزة، يقول عندئذ ابن هتيمل :

أشـرف النــاس رتبة وأعز الناس	والأرض قاسم[٢٢] والجــروب[٢٣]
ساحـة لا يزال فيها رئيس مســ	ــتـجـيـر، وســائـل لا يخـيـب
إن أقــلَّ امـرؤ وأخـبـت فــ	ــالذوري للوفــود مكثـر ومـطيب
أنــا أشكـو إليـك قومـا تمـالوا	في عقـوقي بعيـدهم والقـريب
جهلوني وضيعـوني وهــل يــ	ــعرف حق الأديب إلا الأديب[٢٤]

إمـــارته :

لم تكـد تذكـر المصـادر شيئـا ظاهرا عن تاريخ ولاية القاسم الذروي المحليـة في المخـلاف السليماني ، ولكنها تشير إلى أن ولايتـه متصلة بولايـة أسـلافـه في صبيـا[٢٥]، وتذكر الخلافات السياسية التي كانت تقع له مع المظفر الرسولي وعماله: مما يؤكد أنه كان أميرا محليا في صبياء إحدى أحواز هذا المخلاف، وأن تاريخ إمارته كان في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، تاريـخ ولاية المظفر لليمن الأسفل، ويؤكد هذا القول كله ما ذكره العقيلي عن تاريخ إمارة الغوانم، وأن عميد هذه الأسرة الأمير قاسم ابن غانم استثمر صريخ الغوانم قِبَل صـــلاح الديـن الأيـوبي الذي استغل بدوره هذه الشعور، وسير قوة حربية نحو تهامة من أجل تحقيق بعض الآمال السياسية للدولة الأيوبية، إذ نلحظ أن قاسم بن غانم أخذ يفيد من نتائج انتصارات هذه الحملة، حيث: «أعيد الأمراء الغوانم إلى إمارة المخلاف تحت»[٢٦] رئاسته نفسه.

وإذا كانت المصـــادر لم تشر إلى تاريخ وفاة الأمير قاسم بن غانم، ونهاية إمارته، فإنها قد أشارت إلى من ولي الأمر بعده، فقد تولى ابنــه المرتضى إمارة المخلاف السليماني، ولكنه توفى سنة ٦١٠هـ/١٢١٣هـم، حيث ولي الأمر بعده أخوه المؤيد، فلما أسر: «تولى الإمارة على بن محمد بن ذروة»[٢٧]، فلعل هذه الشخصية الآخيرة تكون ميدانا للظن بنشوء إمارة القاسم بن علي الذروي، إذ ربما كان على بن محمد بن ذروة والده، ومن الواضح أن الشمول السياسي لإمارة الغوانم بدأ يقل وينحصر في بعض بلدان المخلاف السليماني، يقول الوشلي: «إن أمر المخلاف السليماني كان إلى

سليمان بن طرف الحكمي، وأولاده إلى عام ٣٩٣هـ، ومن بعدها إلى العلويين، ومنهم أبناء يحيى بن حمزة المشهورون بالغوانم إلى عام ٦٢٤هـ»[٢٨]، إذ يبدو أن نهاية إمارتهم على معظم بلدان المخلاف كانت على يد: عمر بن على الرسولي[٢٩] الذي ولي أمر اليمن من ٦٢٦هـ/١٢٢٨م إلى ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، حيث: «استمرت يده، ومن بعده يد الرسوليين على المخلاف مدة ولايتهم، وقدرها مائتان وأربعة وثلاثون عاما»[٣٠].

ومن الواضح أن شخصية القاسم بن على الذروي لم تكن عادية، ولا هينة، بل كانت ـ فيما يبدو ـ ظاهرة معروفة شأنها في ذلك مثل شأن غيرها في ميدان الطموح السياسي الذي ينشأ عادة في جانب بعض الإمارات السياسية، ولعله كان كثير القلاقل والثورات في وطنه، لم يرضخ لسياسة معاصريه من الولاة المحليين أو المجاورين، وبخاصة ولاة اليمن أمثال: المظفر الرسولي الذي وقع له معه العديد من الوقائع السياسية المشهودة، مثل: وقعتي بيش[٣١] وحرض[٣٢] بتهامة، يقول ابن هتيمل في شأنهما يمدح القاسم الذروي: «ويحرضه على منع عمال الملك المظفر عن: بيش، وحرض، بعد أن أجلاهم عنها»: [٣٣]:

ياقاسم بن علي دام لك الذي	**يكوي وينضج أكبد الحساد**
يكفيك عن شرف الأوائل همة	**شهرتك في الأغوار والأنجاد**
ألزمت نفسك خطة لم تتكل	**فيها على الآباء والأجداد**

* * *

هيهات أن ترد الكتائب جهلتي **بيش وأنت لهنّ بالمرصاد**
إياك تربية الأعاجم مثلما **ربى أبو حسن شقيَ مراد**
أعدمتهم حرضا وما أجلاهم **المهدي عن حرض وآل الهاد**
لا تجزعنّ لكون قومك أصبحوا **فئتين بين أصادق وأعاد**
واصبر فمرجعهم إليك وإنما **تجرى الشعاب إلى مسيل الوادي**[٣٤]

والظاهر أن القاسم الذروي قد تسلسل على فترة في حكم آبائيه، وأنه حكم طرفا من بلدان المخلاف السليماني، وأنه كان خارجا على ولاية المظفر الرسولي، مما أدى إلى نشوؤ الخلاف السياسي بينهما، ومكّن للحقد في قلب المظفر الرسولي، ولربما عُد ديوان ابن هتيمل من المصادر المهمة التي تعرضت لحياة هذا الأمير، إذ يعد ذلك النتاج سجلا حافلا بأحداث ذلك العصر، وما جرى فيه من مظاهر الحياة السياسية.

ولا يعدو الحال عما ذكره العقيلي في معرض حديثه عن المخلاف السليمان في ظلال العهد الرسولي حين ضعف الحال السياسي، وتجزأت بلدانه، إذ قيل بتلاشي الإمارات المحلية، وتفرقها، ناهيك عن تقسيمها إلى بيوتات مختلفة، فلقد: «ظل بعض تلك الأسر تحتفظ بتراثها الموروث، وسلطتها العائلية أدبيا في غير جهة، مثل.... آل ذروة في صبيا»[٣٥]. ويقول العقيلي في حال القاسم الذروي، وما آل إليه الحال في تهامة: «هو أحد أمراء القطاعيات في المخلاف السليمان في عهد الدولة الرسولية، وكان القاسم بن علي انبه أولئك الأمراء ذكرا، وأقواهم شخصية، وفوق ما يتحلى به من الشجاعة والإقدام والكرم كان أديبا متطلعا وشاعرا متفننا، ويظهر أنه دفعه طموح إلى الثورة على عمال الدولة الرسولية في المخلاف

السليماني غير مرة، وطرد عمالهم من حرض، وبيش، فبعثت الدولة الرسولية الإمدادات، واستعادت سيطرتها ونفوذها، كما يظهر أنها ضاقت ذرعا بطموحه وتكرر ثوراته بعد تكرر العفو عنه، فألقت مؤخرا القبض عليه، وأودعته سجن تعز أمدًا، وفي سجنه أنشأ قصيدته المشهورة»[٣٦]، وقد قيل بخروجه من السجن وعودته إلى وطنه، إذ ظل به إلى أن قتل.

موطنه :

أفاض مؤرخو الأدب التهامي في ذكر موطن الذروي، وبلاده، كما أنه قد أسهب نفسه في التعرض لوطنه وأحوازه، فعدّد تلك المرابع وذكرها، أما المؤرخون، فيقول عبدالله بن علي العمودي: «وهذا الشريف المليك قد كان حكم المخلاف السليماني، ومعاقله على جبل عكوتين، آثارهما باقية على شاطيء وادي نخلان الذي جاء في شعره، وهو من أعمال صبيا»[٣٧]، ويقول محمد بن أحمد العقيلي: «أما موطنه فهو حوض وادي صبيا فيما يطلق عليه الآن الحسيني»[٣٨]» وربما كانت الجروب هي قريته[٣٩]

أما الذروي نفسه فيقول في قصيدته التي بين أيدينا الآن:

حبذا أرض القعيسا وطني وليالات بها ما أطيبا
وربى البئرين من قبليهما وزلال بهما ما أعذبا

* * *

ليت شعري بعدنا هل طنبوا بربى نخلان بعدي طنبا[٤٠]

فتراه ذكر بلدتي : القعيساء، ونخلان، وهما من أحواز صبيا

وبلدانها، ويقول القاسم بن على بن هتيمل يرثى الذروي، ويذكر موطنه:

إذا ذكرت في سفح عكوة خيمة شاىء البرق سبقا معجها ووحيفها[٤١]

والناظر في هذه الأقوال يعلم أنها قد تعرضت لبلدان ومنازل تعد من أحواز صبيا وقراها، فلا مشاحة إذا قيل بأن صبيا وطنه، وأن القعيساء مسقط رأسه وموطنه الحقيقي كما قال.

وفـــاتـــــه :

لم تحدد المصادر تاريخا معلوما لوفاة هذا الأمير الشاعر، وإنما تشير إلى أنه عاش إلى سرار القرن السابع الهجري، وأنه توفى: «في موقعة بينه وبين آل عاطف»[٤٢]، ولعلها معركة العطاوية التي قال فيها عبدالله بن علي العمودي و: «قتل في معركة بينه وبين العطاوية، ورثاه ابن هتيمل»[٤٣].

مناسبة القصيدة، والآراء التي قيلت فيها:

إن من واجب الباحث المنصف عند عرض أفكار الباحثين الآخرين ونقدها أن يبسط تلك الأفكار ويعرضها، ثم يناقشها مناقشة علمية جادة، لعله يخرج عندئذ منها برأي منصف مقبول، ولذلك يمكن تناول تلك الأقوال وفق تاريخ تحريرها، وأسبقية طرحها، يقول أحمد بن صالح بن أبي الرجال (.... ـ ١٠٩٢هـ)، في كتابه المخطوط: «مطالع البدور ومجمع البحور: «القاسم[٤٤] بن علي الذروي صاحب المخلاف[٤٥] وسلطانه وواحده بلاخلاف[٤٦]، وإنسانه كان جليًلا نبيًلا مفضالاً ممدوحًا بالشعر موفودًا إليه، ولعل

مافي ديـوان القاسم[٤٧] بن على بن هتيمل من المدح فيمن هذا اسمه موجه إليه من جملة القصيدة التي أولها:

الله أكبـر هذا[٤٨] منتهى أملي هذي الجـروب وهـذا قاسـم[٤٩] بن علي

وهي قصيدة غراء يحكى أنه أنشدها بين يدي الشريف المذكور والبقر تعمل[٥٠] في الجروب[٥١] بالجيم والواو المهملة. وكانت نحو المـائتين فأعـطاه المقبل منها إلى وجهه، ثم أعطاه المدبر منها، وأحسبه لما تم القصيدة أعطاه الجروب أيضا.

واتفق لهذا الشريف أن الملك المظفر الرسولي، لما أراد الحج كتب إلى شريف مكة وسلطانها[٥٢] أن يتلقاه إلى حلي[٥٣] فأنفت نفـوس الأشراف من ذلك، وكان ممن تكلم هذا الشريف، وأفضى الأمر إلى انشقاق، وقال[٥٤]: الشريف، وقيلت فيه أشعار، فأسره السلطان المظفر وحبسه بزبيد، فبقي في سجنه مدة حتى أيس من الخروج، ومما دار على الألسنة، وسمعناه من فضلاء المخلاف أن السلطان قال للشـريف لا تخـرج من سجني حتى يلتئم هذا[٥٥] الصدع الذي في الحجر وأشار إلى حجر هنالك، يريد بذلك إحالة خروجه على نحو قوله تعالى: ﴿... **حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِيَاطِ**﴾.

فالتفت السيـد إلى الله، وقـال قصيـدته الآتية، فأصبح الصدع ملتئمًا[٥٧]. وقد لمح السيد إلى ذلك في القصيدة فأفرج[٥٨] عنه السلطان، وأخرجه، وعاد إلى بلده بعد اليأس[٥٩] منه، والقصيدة هي:

من لصب هاجـه نشـر الصبـا لم يزده البين إلا نصبـا..»[٦٠]

ويقول عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي المكي (١٠٤٩ ـ ١١١١هـ) في كتابه المنشور: «سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي»: «ومما وقع في زمانه [الشريف حسن بن عجلان][٦١] أن أمير اليمن أحمد بن إسماعيل الغساني[٦٢]... كتب إليه أن يفرغ له دور مكة، وأن يلقاه إلى حلي صحبة قصيدة هي قوله:

من لصب هاجه نشر الصبا لم يزده البين إلا طربا...»[٦٣]

وأضاف العصامي إلى قوله: «فلما وصل المكتوب والقصيدة إلى الشريف بركات بن حسن المذكور تصدى لجواب أحمد بن إسماعيل المذكور السيد الأمجد فصيح الفصحاء عفيف الدين السيد عبدالله بن قاسم الذروي، فكتب إليه هذه القصيدة على لسان الشريف بركات بن حسن بن عجلان رحم الله الجميع، فقال:

بالقنا الخطي والبيض الظبا وبخيل تتبارى شزبا..»[٦٤]

ويقول الحسن بن أحمد عاكش في كتابه المخطوط: «الديباج الخسرواني[٦٥] بذكر أعيان المخلاف السليماني»: «وأما أعلا وادي صبيا فهو مسكن بني ذروة بن حسنين بن يحيى، وفيهم كانت الرياسة على أشراف وادي صبيا الجميع، ومنهم انتقلت الرئاسة إلى الخواجيين، [٦٦] ومنهم الشريف القاسم بن علي بن محمد بن ذروة ممدوح القاسم بن على بن هتيمل، فإنه كان أميرًا كبيرًا مشهورًا فصيحًا وله تلك القصيدة المشهورة التي طالعها:

من لصب هامه نشر الصبا لم يزده البين إلا نصبا

وهي طويلة بديعة، وسبب إنشائه لها قد ذكره ابن أبي الرجال في مطالع البدور، أيام كان في أسر الملك المظفر الغساني، والقصة مشهورة...»[٦٧]

ويقـول محمـد بن حيـدر النعمي[٦٨]: في كتـابـه المخـطوط: «الجـواهر اللطاف المتوجة بها هامات الأشراف من سكان صبيا والمخلاف المغني بإضاءتها عن شرقات السلاف»: «وأما أعلا وادي صبيـا فهـو مسكن بني ذروة بن حسين بن يحيى، وفيهم كانت الريـاسـة على أشـراف وادي صبيا، ومنهم انتقلت الرياسة إلى الخواجيين.. ومنهم العلامة القاسم بن علي بن محمد بن غانم بن ذروة، وقـد ترجم له في مطالع البدور العلامة الصنعاني، وذكر: أخـلاقـه، وشمائله، وكرمه وأنه مدحه العلامة القاسم بن على بن هتيمل الخزاعي بقصيدته التي أولها:

الله أكـبـر هدا منـتـهى أملي　　　هذي الجـروب وهـذا القـاسـم[٦٩]بـن علي

فأعـطاه بقـر الحـراثة نحو أربعمائة ثور، وأعطاه الجروب جميعا، وللسيـد العلامة القاسم بن على القصيدة المشهورة أيام حبسه الملك المظفر الرسولي بتعز، أولها قوله رحمه الله تعالى[٧٠]:

من لصبٍّ هاجـه نشـر الصَّبَـا　　　لم يزده البـيـن إلا نصـبـا
وأسـيـر كلما لاح لــه　　　بارق القـبلة من صبيـا صبـا
ولطـرف أرق إنـسـانـه　　　دون من يشـتـاقـه قد حجبـا
لم يزل يشـتـاق نخـلان وإن　　　قدم العـهـد ويهـوى الطنبـا

بيت القصيد منها هذا البيت:

ربَّ صدع كان أعـيـا شعـبـه　　　أدركـتـه رحـمـة فانـشـعـبـا

يقال إن الملك الرسولي قال لا، أطلعك من الحبس حتى يجتمع الصـدع الذي بين الجبلين المعروفين في تعز تهكما من باب قوله تعالى: ﴿ولا يَدْخُلُونَ الجَنَّة حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِيَاطِ . . .﴾[٧١]

فأنشأ هذه القصيدة فالتأم[٧٢] الصدع، وصار مابين الجبلين كالجبل الواحد بالمشاهدة، ولم يسع السلطان إلا إطلاقه من السجن، فأفرج الله عليه، والقصيدة مستوفاة في مطالع البدور، وغيره من تواريخ الجهة[٧٣]، كالجواهر الحسان في تاريخ أبي عريش وجيزان..»[٧٤].

وقال عبدالله بن علي العمودي في مختصره المخطوط: «تحفة القاريء والسامع في اختصار تاريخ اللامع»: «وأما أعلى وادي صبيا فهو سكن أبي ذروة بن حسن بن يحيى، وفيهم كانت الرياسة على أشراف وادي صبيا الجميع، ومنهم انتقلت الرياسة إلى الخواجيين، ومنهم الشريف القاسم بن[٧٧] على بن[٧٨] محمد ابن[٧٩] غانم بن[٨٠] ذروة ممدوح الأديب القاسم بن هتيمل... فإنه كان أميرًا كبيرًا مشهورًا فصيحًا، وله تلك القصيدة المشهورة التي أنشأها في أسر الملك المظفر يتشوق فيها إلى أترابه وأوطانه، قوله:

من لصب هاجه نشر الصبا ... لم يزده البين إلا نصبا[٨١]...»

ويقول العمودي أيضا: «وهذا الشريف المليك كان حكم المخلاف السليماني، ومعاقله على جبلي عكوتين آثارهما باقية على شاطىء وادي نخلان الذي جاء في شعره، وهو من أعمال صبيا. وكان ملكاً جليلاً فاضلاً نبيلاً منيلاً وبينه وبين الترك الغز، والدولة الغسانية اليمنية وقفات، وأخيرا ما بينه وبين الملك المظفر الغساني فأسره، وسبب إنشائه لهذه القصيدة قد ذكره ابن أبي الرجال في: «مطالع البدور» أيام كان في اليمن في أسر الملك المظفر الغساني والقصة مشهورة»[٨٢].

وقال أحمد السباعي في تاريخه المنشور الموسوم بـ: «تاريخ

مكة» : «ومن طرائف ما يروى في ترجمة بركات أن أحمد بن اسماعيل ملك اليمن كتب إلى الشريف بركات بخروجه إلى الحج، وطلب إليه إخلاء بيوت مكة لإقامته، وأن يتلقاه عند حلي فأجابه بركات بقصيدة أنشأها عفيف الدين عبدالله بن قاسم الذروي[٨٣] مما يزيد على ثلاثين بيتا، وفيها يقول:

بالقنا الخطي والبيض الظبا　　وبخيل تتبارى شزبا
وبأبطال إذا ما استعرت　　نار حرب ولظاها التهبا
نحمي ذا البيت ونحمي جدة　　وربا حلي وأكناف قبا

إلى أن يقول:

قل لمن رام يناوينا ومن　　رام يأتي بيتنا مغتصبا
لا تحج البيت إلا خاضعا　　دافعا عشرا لنا ثم جبا
وإذا ما كان رأسا لم يعد　　عندنا ياصاح إلا ذنبا

فلما انتهت إلى ملك اليمن تخلف عن الحج وأمر من يترصد لعفيف الدين الذروي فترصده حتى نزل جيزان[٨٤] فاحتالوا عليه حتى حملوه إلى اليمن فحبسه ملك اليمن، وضيق عليه الخناق في الحبس فأرسل بركات يفتديه بمائة ألف ناقة، واعتقد أنه بولغ في عدد النوق، ولعلها مائة ناقة. وقد رفض ملك اليمن العرض، وأقسم ألَّا يطلقه حتى ينشعب هذا الصدع، ولعله أشار إلى صدع في صخر أو حجر.

وفي هذا يقول عفيف الدين الذروي من قصيدة ذكرها الشيخ الحضراوي في تاريخ البشر:

إن ظننت الدهر يومًا واحدًا　　فلقد حاولت أمرًا كذبا
رب صدع كان أعيا شعبه　　أدركته رحمة فانشعبا

فيـنــال الـمـلـتـجـيء من ربــه في أعــاديــه الذي قد طلبــا

ومن الغـريب أن الشاعر لم يبت ليلته حتى سحت السماء بمدرار هطال انشعب له صدع الحجر فأطلقه الملك وأحسن صلته، والذي ألاحظه أن أحمد بن اسماعيل ملك اليمن توفي في عام ٨٢٧ أي قبل ولاية بركات في عام ٨٢٩ بنحو سنتين فلا تستقيم الرواية إلا إذا كان الحادث قد حدث في عهد شركة بركات لأخيه حسن»[٨٥].

ويقول محمد بن أحمد العقيلي: «القاسم بن علي الذروي: أمير من أمـراء الإقـطاعيـات: وشاعر اشتهر بقصيدته المشهورة في [جنوبى] الجزيرة والتي قالها وهو في سجن الملك المظفر الرسولي، ولذيـوع تلك القصيـدة في المنـطقة نترجم له بين شعراء القرن السابع ونورد القصيدة لعشاق الشعر الرفيع:

من لصب هاجــه نشــر الصبــا لم يزده البـين إلا نصبــا...»[٨٦]

مناقشة هذه الآراء، ودراستها:

وإزاء هذه الأقوال السابقة يمكن القول إن معظم مَنْ تحدث عن الذروي، وقصيـدتـه كانـوا من: مؤرخي اليمن، وأهـل المخلاف السليمـاني مواطني الشـاعر، ومؤرخي بلاده، مثل: أبي الرجال، وعاكش، والنعمي، والعمودي، والعقيلي، وقليل هم الذين تعرضوا له من خارج بلدان جنوبي الجزيرة العربية، إذ كانوا في جملتهم من مؤرخي الحجاز، مثل: العصامي، والحضراوي، وأحمد السباعي، ولعـل إقبـال هؤلاء المـؤرخين الحجازيين على ذكر هذا الشاعر وقصيدته أنهم كانوا على صلة بآثار إخوانهم المؤرخين في جنوبي

الجزيرة العربية، وأنهم وجدوا من الأخبار التاريخية ما يحقق لهم حديثهم المتصل بتلك الأنحاء لما كانت عليه من الصلات المستمرة ببلدان الحجاز. وذلك قد جعل أولئك المؤرخين المحليين في تهامة يتفقون على حقيقة مناسبة هذه القصيدة، وأنها للقاسم بن علي الذروي، وأنه أنشأها في سجن المظفر الرسولي، ولا يكادون يختلفون إلا في رسم بعض ألفاظ أبيات هذه القصيدة، ومكان سجن صاحبها أهو في تعز أم في زبيد؟ وهم في ذلك يصدرون ـ فيما يبدو ـ عن مصدرين مهمين، هما: الرواية الشفهية المتصلة، وكتاب «مطالع البدور ومجمع البحور» لأبي الرجال، مما يدعونا إلى القول بأن: عاكشاً، والنعمي، والعمودي، والعقيلي كانوا متشابيهن في أقوالهم، بل في ألفاظ أخبارهم ومادتها التاريخية التي أوردوها في كتبهم، وهذا ما يقلل من أهمية مناقشة آراء هؤلاء المؤرخين، ويدعو لقبولها، والتصديق بها، إذ هم أحرى من غيرهم بإيرادها، وأنها أصبحت معهودة معروفة بين الأهلين في تهامة، فأبو الرجال مثلا، يقول: «ومما دار على الألسنة، وسمعناه من فضلاء المخلاف...»[٨٧]، ويقول عاكش «والقصيدة مشهورة»[٨٨]، ويقول النعمي: «والقصيدة مستوفاة في مطالع البدور، وغيره من تواريخ الجهة»[٨٩]، وقال العمودي: «والقصة مشهورة»[٩٠]، ويقول العقيلي: « شاعر اشتهر بقصيدته المشهورة في [جنوبي] الجزيرة»[٩١]، وهذا يفضي جميعه إلى قبول هذه القصة في ضوء هذه المصادر والعلم بأحداثها، وأن القاسم بن علي الذروي نفسه هو صاحبها، وأنه إذا كان قد اختلف في مكان سجنه أهو في تعز أم في زبيد؟ فإن الظن يميل نحو الموضع الأول لأن معظم مقام

المظفر الرسولي، إنما كان فيه، وهو عندئذ صاحب هذا الهوى السياسي في سجن الذروي، ومدبر أمره، إذ يفترض في سجن هذا الأمير الشاعر أن يكون بالقرب من المظفر ليباشر أمر السجن بنفسه، ولكي يطمئن على حال طليبه الذروي، ويؤكد حقيقة مقام هذا الأسير في سجن تعز قول محمد بن حيدر النعمي، حين قال بأن: «الملك الرسولي قال لا أطلقك من الحبس حتى يجتمع الصدع الذي بين الجبلين المعروفين في تعز»[٩٢]، وهذا القول يدل على أن سجن هذا الأمير، إنما كان بالفعل في تعز، وهذا المعنى أيضا لا يخالف الظن بوقوع هذا السجن في زبيد، ولكنه ربما يضعفه، ويقدم الرأي السابق عليه، وإلا فالدارسون يعلمون أن المظفر الرسولي قد يقيم أحيانا في زبيد، حينما كان يبادل بين مقام ملكه، شأن غيره من الملوك والأمراء، يقول شارح ديوان ابن هتيمل: «فبلغت [القصيدة] الملك المظفر الرسولي فأنف وأرسل جريدة من الخيل، فجاءوا به من بطن تهامةوالملك يؤمئذ في زبيد»[٩٣] ومهما يكن الأمر فالسجن عندئذ قد وقع في إحدى هاتين المدينتين أو في كلتيهما بالتوالي، ولكنه في الرأي الأول أظهر لما اتفق له من أسباب مختلفة، قد تؤيده وتميل إليه أعلاها رأى معظم المؤرخين، وواقع البيئة الجغرافية في هاتين البقعتين. وقد يغلب الظن أن القاسم بن علي الذروي نفسه هو صاحب القصيدة التي قال مؤرخو مكة إن:ابنه عبدالله أنشأها عند توعد ملك اليمن لأشراف مكة، وبخاصة إذا أحيط بقول أبي الرجال السابق.

وإذا كان هنالك من آراء يفاد منها في تحقيق الشعور بوجود شعر لهذا الأمير الشاعر غير هذه القصيدة التي بين أيدينا الآن،

فإن مما يدل على أن الذروي كان شاعرا قول أبي الرجال فيه: «وقال الشريف، وقيلت فيه أشعار»[٩٤]، مما يدفع القول بأن هذه القصيدة هي القصيدة الوحيدة له، بل يؤكد أنه أنشأها وأنشأ غيرها، كما أنه يزيد في منزلة هذا الشاعر، ويدل على أنه لم يسلم من حقد معاصريه الأمراء، وأنه قد احتل مكانة اجتماعية عالية عند الشعراء، وأنه قد نال مدح العديد منهم، أمثال: القاسم بن على بن هتيمل الذي صرف جزءا غير يسير من شعره نحو مدحه والثناء عليه، وأنه حزن عليه حينما أدركه الموت، وما عطاياه الجزيلة له سوى مظهر من مظاهر نبل هذا الأمير واريحيته، ولا غرابة عندئذ أن يصبغ عليه أولئك المؤرخون صفات: النبل، والشهامة، والشجاعة، والكرم، فهو أهل لذلك لما كان عليه في واقعه من مظاهر: السؤدد، والشرف، ولما عَرَفَهُ به أهل زمانه من مواقف: الشجاعة، والفداء، إذ صرف جزءا من وقته نحو الدفاع عن وطنه، وما قد يخدش مكانته، وعلو منزلته، فأتت هذه المصادر المحلية مؤيدة لما أشيع عنه، ومؤكدة لسيرورة قصته، وذيوعها، فدواوين شعراء زمانه حافلة بأخباره، ودواعي الثناء عليه.

وإذا كان الباحث قد اطمأن لأقوال مؤرخي: اليمن، وتهامة وأدبائهما، ورآها أقرب للحقيقة، إذ أجمعت جميعها على أن الحقد السياسي الذي مني به الذروي يعد سببا في سجنه، فإن أقوال مؤرخي الحجاز تستحق المناقشة والدراسة، لما يلحظه الباحث فيها من اضطراب وتباين، فحينما نأتي إلى أقوال العصامي المكي نلحظ شيئا من الاضطراب، إذ يقول: «إن أمير اليمن أحمد بن إسماعيل الغساني كتب إليه [شريف مكة] أن يفرغ له دور مكة، وأن يلقاه إلى حلي صحبة قصيدة هي قوله»[٩٥] وأورد القصيدة فكيف

تستقيم الروايــة إذا علم بأن الذروي عاش في القــرن الســابــع الهجري وحسب، وبخاصة في النصف الثاني منه في عهد المظفر الرسولي الذي توفى سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م، وأن الذروي نفسه مات في نهاية القرن الهجري أيضا، فكيف ينسجم القول هنا، إذا علم أيضــا بأن فتــرة حكم أحمــد بن إسمــاعيل الغساني تحدد بين ٨٠٣/ ١٤٠٠م ـ ٨٢٧/ ١٤٢٣م، وأن القصيدة التي بعث بها إلى شريف مكة ـ كما يقول العصامي ـ من قوله، مما يدل على أن هنا خلطا غيــر حقيقي، وأن هذه القصيدة قد أقحمت إقحاما، إذا لا يمكن أن يبعث بها أحمد بن إساعيل عندئذ، لأنه لا علاقة لها بما طلب، ولأن معانيها مرتبطة بظرف خاص، وغرض شعري معهود هو الحنين، وأحمد الغساني يرغب في أن يفرغ له شريف مكة الدور، وأن يلقــاه في حلي، ممــا يستوجب أن يكون جوابه في إطار هذا المعنى الممثل لمظهر القوة والتهديد، فضلا عن بعد عهد الذروي عن ولاية أحمد الغساني، ولعل السبب في ورودها هنا يعود ـ فيما يبدو لي ـ إلى خطأ في الأصل الذي تمّ التحقيق عليه، أو سَقْط سبق ورود القصيدة في موضعها عن تحقيقها أو طباعتها، وإذا كان أمر هذا التهديد قد وقع من أحمد الغساني فهو مقبول الوقوع من مثله، ولكن لا علاقة له بالكلام الذي بعده، وبخاصة القصيدة وقصتها، إلا إذا أريد بهذه القصة وأحداثها التذكير بأمر حصل من قبل في عهــد سلفــة المــظفــر، وأنــه نوع من التهــديد، وكناية عن بأس الغسانيين، وأنهم يفعلون مايقولون، فهو إذن تذكير بالماضي قد ينطوي على وعيد وحسب.

ولا يتوقف هذا الأمر عند هذا الحد، بل يزداد اختلافا واضطرابا، فهناك تناقض آخر، حينما قال العصامي إنه لما: «وصل المكتوب والقصيدة إلى الشريف بركات بن حسن.. تصدى لجواب أحمد بن إسماعيل.. السيد الأمجد فصيح الفصحاء عفيف الدين السيد عبدالله بن قاسم الذروي، فكتب إليه هذه القصيدة على لسان الشريف بركات بن حسن بن عجلان...»[٩٦]، وأورد القصيدة، فهل هذا الشاعر عارض بهذه القصيدة: القصيدة السابقة أم قيلت قبلها، ثم عارضها أبوه وهو في السجن، أو العكس، وإذا كان الأمر كذلك، فإن وقوعهما لا يمكن أن يكون في عهد أحمد بن إسماعيل، وإنما كان في عهد المظفر الرسولي، في القرن السابع الهجري في حياة القاسم بن علي الذروي، وبخاصة إذا علم بأن عبدالله بن القاسم الذروي توفي في حياة أبيه، وأن ابن هتيمل رثاه وعزّى أباه القاسم الذروي بقصيدة مشهورة معروفة[٩٧]، فلا يمكن أن تُنشأ هذه القصيدة في هذا العهد المتأخر، إذ المفروض أن تكون هذه القصيدة قيلت قبل السابقة، بمعنى أن هذا التحدي أدّى إلى أسر الشاعر سواء عبدالله أم أبيه، وإذا كان القاسم الذروي هو الذي وقع في السجن لا ابنه عبدالله، فإن أغلب الظن أنه هو الذي أنشأ القصيدة التي أوردها العصامي على لسان عبدالله بن القاسم، ويعضد هذا الرأي قول أبي الرجال حين ذكر بأنه: «اتفق لهذا الشريف أن الملك المظفر الرسولي لما أراد الحج كتب إلى شريف مكة، وسلطانها أن يتلقاه إلى حلي، فأنفت نفوس الأشراف من ذلك، وكان ممن تكلم [هذا] الشريف، وأفضى الأمر إلى الشقاق، وقال الشريف وقيلت فيه أشعار..»[٩٨]، ولعل قول أبي الرجال: «تكلم هذا

الشريف، وقال..» يشير إلى مشاركة القاسم الذروي الشعرية في هذا الشأن.

ويزداد الأمر اضطرابا في رواية هذا المؤرخ حينما قال بعد أن أورد - كما يزعم - قصيدة عبدالله بن القاسم: «فلما بلغه هذا الجواب تخلف عن الحج، وأمر مَنْ يترصد للذروي في بلاده صبيا فترصدوا له حتى إذا نزل ساحل جازان تحيلوا عليه حتى ركب معهم فساروا به إلى أحمد بن إسماعيل المذكور فحبسه وضيق عليه فأمر الشريف بركات بفدائه بمائة ألف ناقة، فقال أحمد المذكور: والله ما أخرجه من الحبس حتى ينشعب هذا الصدع، فأنشأ قصيدة في الحبس فأرسل الله تلك الليلة مطرا فأصبح الحجر وقد انشعب بقدرة الله تعالى، فأطلقه وأحسن إليه وأوصله مأمنه»(٩٩)، فكيف يكون هذا الأمر من بعد وقد ظهر خبره في القصيدة الأولى التي قال العصامي إن أحمد بن إسماعيل بعث بها إلى شريف مكة قبل أن يحدث هذا الحادث، ومنها قوله:

رب صدع كان أعيا شعبه أدركته رحمة فانشعبا(١٠٠)

فالأمير اليمني إنما بعث هذه القصيدة قبل أن يسجن الذروي، كما هو ظاهر في سياق القصة، إذ لم تخل من تقديم أو تأخير، فضلا عن الخطل الواضح في زمن وقوعها، وأسماء أبطالها، وأنها من قوله، لقد خلط هنا العصامي بين أحداث هذه القصة، وعمد إلى فقدان سياقها الحقيقي، ولعل القصيدة التي قيل: إنها أنشئت والذروي في السجن، إنما قيلت بعد القصيدة الثانية التي أنشأها أحد الذَّرْوِيِّيْنَ على لسان شريف مكة، وأعجب عجبا لا حدود له من قول أحد الكتاب في مجلة المنهل، حينما قال: «فلما بلغ الغساني هذا الجواب تخلف عن الحج، وأمر من يترصد للذروي في بلاده صبيا

فترصدوا له حتى أذا نزل ساحل جازان تحيلوا عليه حتى ركب معهم فساروا به إلى الغساني، فحبسه، وضيق عليه فأنشأ القصيدة التى مطلعها: من لصب هاجه...»[١٠١].

فكيف علم بأن القصيدة التي أشار إليها العصامي بقوله: فأنشأ قصيدة في الحبس»[١٠٢] هي القصيدة التي أورد الكاتب شيئا من مطلعها في قوله السابق، وكيف حمّل العصامي قولا لم يقله؟ وأنّى له بهذا الحكم؟ إذ كان من الواضح في النص الذي أورده العصامي أنه لم يرد هذه القصيدة بعينها، بل أشار إلى قصيدة قيلت في السجن، فهل يفترض أن تكون هي نفسها؟ وهذا في ظني من الخطل العلمي.

ويؤكد الاضطراب السابق ويدل عليه، ما ورد في كتاب: «تاريخ مكة» لأحمد السباعي، حينما حاول تنسيق الرواية بروح أقرب إلى الاعتدال، لولا أنه جعل أحمد بن إسماعيل مَنْ سجن الذروي، وأنه قال بأن عبدالله بن القاسم الذروي هو صاحب القصيدتين، أما ترتيبه لأفكار هذه القصة، فقد يكون ردا على الخلط الظاهر في كتاب: «سمط النجوم العوالي» للعصامي. وأما كون أحمد بن إسماعيل هو الذي حبس الذروي فيبدو أنه غير صحيح لبعد العهد، وقد تنبه له السباعي نفسه بقوله: «والذي ألاحظه أن أحمد بن إسماعيل ملك اليمن توفى في عام ٨٢٧ أي قبل ولاية بركات في عام ٨٢٩ بنحو سنتين، فلا تستقيم الرواية...»[١٠٣]، وأما القول بأن عبدالله بن القاسم الذروي هو صاحب القصيدة الأولى التي أنشأها على لسان شريف مكة، فلربما أنه هو الذي أنشأها، ولربما أنشأها أبوه كما قيل من قبل، فأما أن يكون هو فلما عرف عنه من

بسالة وشجاعة، ولأنه كان عندئذ من أمراء تهامة البارزين،.وأنه قد بلغ شاأوا يستحقه من الشهرة، وذيوع الصيت، إذ ربما عُدّ بروزه الاجتماعي سببا في نظمه الشعر، فهو عندئذ فتى ذو بسالة وإقدام، فلا غرو أن يدافع عن إخوانه أشراف مكة لما بينهما من صلات القربى، ووشائج النسب، وأن هذه القصيدة قد أدت إلى سجن أبيه سواء قالها هو، أم أبوه، فالقاسم الذروي أو ابنه عبدالله هما أهل لإطفاء الثأر، وتفنيد الوعيد، والحق أن الناظر في القصيدتين: الأولى التي قيلت قبل وقوع السجن، والثانية التي قيلت فيه، يجد علاقة بينهما قد تدعو إلى الظن بأنهما لشاعر واحد، إذ هما على بحر عروضي واحد، هو: «الرمل»، وهما ذواتا شعور نفسي متشابه، إذ قيلتا ـ فيما يبدو ـ بدافع إنساني محض، فهما متلازمتان إلى حد كبير في: الشكل والمضمون، وهو الذي لم يظهر عند مؤرخي تهامة، حينما اكتفوا بذكر خبر سجن القاسم الذروي والقصيدة الثانية، ولذا كان كلام السباعي أقرب إلى الاعتدال، وأدعى للتفكير والنظر لولا الاختلاف في اسم الأمير اليمنى، واسم الشاعر صاحب القصيدتين، وقد يدفع هذا الحرج عند التحقق من حقيقة عبدالله ابن القاسم الذروي وحالة كونه من الشعراء، وهل لقبه حقا: عفيف الدين، أم لقب أبيه القاسم، ولربما كان قائل القصيدة الأولى في مكة المكرمة عند وصول تهديد الأمير اليمنى ووعيده إلى أشراف مكة، فلربما كانت تلك الفترة من الأشهر الحرم، إذا يفترض مقام القائل عندئذ هنالك!.

ومهما يكن من أمر فإنه يمكن القول في نهاية هذا العرض الفكري، والنقاش العلمي المفترض:إن مؤرخي تهامة وأدباءها كانوا

في أقوالهم أقرب إلى الحقيقة، وأنهم هم الذين يمكن الأخذ برأيهم في هذا الحال، لمواطنة بعضهم لهذه الأحداث، ولأن الخبر متصل معروف في مواطنيهم، وأن الأمر لا يعدو الحقيقة لما تمّ بيانه من قبل، فالمظفر الرسولي عاصر القاسم الذروي يومئذ، بل كان الذروي نفسه حاكما لصبيا فترة حكم المظفر لليمن، والأمر السياسي موصول في هذه الأسرة الذروية، إذ كان على بن محمد الذروي حاكما لهذه الأنحاء في غضون الربع الأول من القرب السابع الهجري، مما يجعل هذه الأحداث أقرب للواقع، وألصق للحقيقة، حيث تعد ولاية القاسم بن على الذروي لصبيا في أثناء فترة حكم المظفر لليمن، إذ كانت هذه الولاية موصولة في حكم آل ذروة لهذا المخلاف، فالأمر لا يعدو الوقوع في هذه الأثناء، وبخاصة وعيد المظفر لشريف مكة المكرمة، ونظم القصيدة الأولى، ثم وقوع القاسم الذروي في السجن، ونظمة للقصيدة البائية الثانية المشهورة، وعندئذ نرفض رواية العصامي تماما فلا نأخذ بها، ونقف إزاء آراء السباعي وقوف الناقد الحذر، إذ علمنا بتسلسل أحداث روايته، وظننا بأن عبدالله بن القاسم، أو القاسم بن على الذروي أحدهما مَنْ أنشأ القصيدة الأولى، كما سبق القول، ونقرر بأن القاسم الذروي نفسه هو الذي أنشأ القصيدة الثانية لما ظهر من أدلة تعضد هذا الرأي، وأنه لبث في السجن وقتا غير قليل على حين يجب دفع الرأي الوارد في تاريخي: العصامي، والسباعي القائل بأن هذه الأحداث وقعت في عهد أحمد بن إسماعيل الغساني، الذي حكم جزءا من بلاد اليمن في الربع الأول من القرن التاسع الهجري، في الفترة التي تلت حكم المظفر الرسولي ووفاته،

بل حياة القاسم الذروي ووفاته بوقت طويل غير يسير.

وقد ينشأ في ميدان البحث العلمي ظن بأن هذه القصيدة قد تكون من إنشاء الشاعر القاسم بن على بن هتيمل الضمدي لما بينه وبين ممدوحه وصديقه القاسم بن على الذروي من صلات، وروابط أخوية، فضلا عن أنه قد يحدث مثل هذا الأمر بين الشعراء ومواطنيهم الأمراء حيث نلحظ أنه ورد مثله مرارا في ديوان ابن هتيمل نفسه، يقول شارح هذا الديوان مثلا، قال ابن هتيمل: «على لسان الأمير قاسم الذروي إلى القائد الرسولي سنجر الخوارزمي»(١٠٤)، مما يدل على أن هذا الشاعر كان يعتاد نظم القصائد على لسان هذا الأمير، ويضاف إلى ماسبق واقع الذروي نفسه وأنه كان مقلا في الشعر، وأنه وقع في ظرف عصيب يستدعي مواساة الشعراء له ومشاركتهم، إذ يبدو أن ابن هتيمل ودّ عندئذ أن يصنع شيئا من هذا، فلعله فعل، ولكن هذه القصيدة بالفعل تختلف عن شعر ابن هتيمل، حيث صدرت عن روح مفعمة بالحزن والألم والحسرة بما يناقض الظن بأنها لابن هتيمل، إذ لو أن ابن هتيمل تعمد هذا العمل لما كانت هذه القصيدة على هذا القدر من الصدق والوضوح، فضلا عما فيها من علو الهمة، مما قد يخالف المعهود في شعر ابن هتيمل ناهيك عن العمق الفكري الذي نعهده في شعر ابن هتيمل والذي يميل عادة نحو التأمل والحكمة، ولأن المصادر على كثرتها لم تشر إلى شيء من هذا الظن، مما يدعو للقول بأن هذه القصيدة قد صدرت عن حالة نفسية حقيقية، وعبرت عن همة عالية تتفق مع طبيعة الذروي التي تعود فيها من قبل مثل هذه العاديات الصعبة التي قد تحل بمثله، ومع ذلك يظل هذا الأمر ميدانا رحبا للبحث والتحقيق حتى يزول هذا الظن ويندفع تماما.

هوامش التوثيق، والدراسة:

(١) قال عنه الزركلي: «عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي [١٠٤٩ ـ ١١١١هـ]»، مؤرخ، من أهل مكة، مولده ووفاته فيها، له كتب، منها: «قيد الأوابد من الفوائد والعوائد ـ خ» بخطه، و «سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ـ ط» في ٤ مجلدات، و «الغرر البهية ـ خ» «شرح الخزرجية في العروض ـ خ» في دار الكتب، وهو حفيد الملا عصام، عبدالملك بن جمال الدين...» «الأعلام» ٤/١٥٧، ١٥٨.

(٢) قال عنه بكري شيخ أمين: «ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م، تلقى علومه في المدرسة الراقية بمكة، ودخل مدرسة الأقباط بالأسكندرية ، ومكث بها عامين، وعاد إلى مكة، وعمل فيها أستاذا للعربية، اشتغل في تحرير «صوت الحجاز» مدة، وفي وزارة المالية موظفا، وأصدر مجلة قريش، وأنشأ مطبعة قريش.. له مؤلفات تارخية وقصصية وأدبية» «الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية» ١١٢، ١١٣.

(٣) قال عنه الزركلي: «يوسف المظفر بن عمر المنصور نور الدين بن علي بن رسول التركماني اليمني، شمس الدين (٦١٩ ـ ٦٩٤هـ) : ثاني ملوك الدولة الرسولية في اليمن، وقاعدتها صنعاء ولد بمكة، وولي بعد مقتل أبيه سنة ٦٤٧هـ بصنعاء، وأحسن صيانة الملك وسياسته، وقامت في أيامه فتن وحروب، فخرج منها ظافرا، وكانوا يشبهونه بمعاوية في حزمه وتدبيره، وطالت مدته، واستمر إلى أن توفى بقلعة تعز... وهو أول من كسا الكعبة من داخلها وخارجها سنة ٦٥٩، بعد انقطاع ورودها من بغداد سنة ٦٥٥ بسبب دخول المغول بغداد، وبقيت كسوته الداخلية إلى سنة ٧٦١، ولا يزال على أحد الألواح الرخامية في داخل الكعبة إلى اليوم النص الآتي: «أمر بتجديد رخام هذا البيت المعظم، العبد الفقير إلى رحمة ربه وانعمه، يوسف بن عمر بن على بن رسول اللهم أيده بعزيز نصرك، واغفر له ذنوبه برحمتك ياكريم ياغفار، بتاريخ سنة ثمانين وستمائة»، وكانت له عناية بالاطلاع على كتب الطب والفنون، ومعرفة بالحديث..» «الأعلام» ٢٤٣، ٢٤٤، قال يحيى ابن الحسين: «ودخلت سنة ٦٩٤.. وانتقل المظفر إلى ثعبات، فلم يزل فيها إلى أن توفى يوم الثلاثاء الثالث عشر من رمضان من السنة المذكورة عن أربع وتسعين سنة وعشرة أشهر وأحد عشر يوما» (غاية الأماني» ١/٤٧٥.

(٤) قال ياقوت الحموي: «زَبيد: بفتح أوله، وكسر ثانية، ثم ياء مثناة من تحت، اسم وادٍ به مدينة يقال لها الحُصَيب، ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به، وهي مدينة مشهورة باليمن أحدثت في أيام المأمون وبإزائها ساحل غلافقة، وساحل المندب، وهو علم مرتجل

لهذا الموضع، ينسب إليها جمع كثير من العلماء «معجم البلدان» ٣/ ١٣١، انظر: «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» للحجري مج١/ج١/ ٣٨١.

(٥) قال الحجري: «تعز: بلدة مشهورة من مدن اليمن في الجنوب الغربي من صنعاء على مسافة ثماني مراحل وهي بالقرب من الجند في سفح جبل صبر غربي الجند وهي اليوم مركز تلك البلاد..» «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» مج١/ج١/ ١٤٥، وقال ياقوت الحموي: «تَعِزُّ بالفتح ثم الكسر، والزاي مشددة: قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات» «معجم البلدان» ٢/ ٣٤.

(٦) قال عنه الزركلي: «أحمد بن صالح بن أبي الرجال اليمني، صفي الدين [١٠٢٩ - ١٠٩٢هـ] مؤرخ أديب وافر الاطلاع، من علماء الزيدية، ولد في الأهنوم باليمن، ونشأ في صنعاء وتوفى بها، من كتبه: «مطلع البدور ومجمع البحور - خ...» «الأعلام» ١/ ١٣٧.

(٧) من آية ١٥ سورة الأحقاف.

(٨) القاسم بن على بن هتيمل، ديوانه، مخطوط، ورقة ٣١، قيل في ديوان ابن هتيمل: «وقال يمدح الأمير شجاع الدين: القاسم بن على الذروي...»، المصدر نفسه، ورقة ٣١.

(٩) محمد بن احمد العقيلي، «تاريخ المخلاف السليماني» ١/ ٢٠٧.

(١٠) محمد بن حيدر النعمي: «الجواهر اللطاف» مخطوط، ٢٤

(١١) محمد بن احمد العقيلي «ديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل: دراسة وتحليل» ٣٥

(١٢) محمد بن احمد العقيلي. «تاريخ المخلاف السليماني» ١/ ٢٠٦

(١٣) يقول محمد بن حيد النعمي: «ومنهم الشريف العلامة القاسم بن علي بن محمد بن غانم ابن ذروة..» «الجواهر اللطاف» ٢٤، ويقول العقيلي: «والصحة أن الإمارة فيهم من أيام أبيه على محمد بن ذروة» «ديوان ابن هتيمل» ص ٣٤.

(١٤) محمد بن احمد العقيلي. «تاريخ المخلاف السليماني» ١/ ٢٠٧

(١٥) «مطلع البدور ومجمع البحور»، ورقة ٢٠٦.

(١٦) قال عنه الزركلي: «الحسن بن أحمد بن عبدالله، المعروف بعاكش [١٢٢١ - ١٢٨٩هـ]: مؤرخ، .. من أهل ضمد في تهامة... ولد ونشأ فيها، وانتقل إلى زبيد فصنعاء، وتوفي بمدينة أبي عريش من كتبه الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني - خ» «الأعلام» ٢/ ١٨٣.

(١٧) «الديباج الخسرواني»، ٨.

(١٨) قال عنه محمد بن محمد زباره: «القاضي العلامة عبدالله بن على بن عبدالله باسند العمودي، مولده بمدينة أبي عريش من تهامة سنة ١٢٩٩هـ... حفظ بها القرآن، ثم رحل سنة ١٣١٥هـ إلى بندر الحديدة فأخذ عن الشيخ فرج بن محمد الحكوي، والسيد

محمد بن عبدالقادر الأهدل، والعلامة عبدالله بن يحيى مكرم، ثم انتقل إلى المراوعة فأخذ عن السيد محمد بن حسن الأهدل، وقد ترجم له مؤلف (نشر الثناء الحسن)، فقال: كانت إقامته بالمراوعة ثلاث سنين، ثم عاد إلى أبي عريش في سنة ١٣٢٠هـ، ثم خرج إلى ميـدي، ومن مشايخه محمد بن على الإدريسي، وأجازه بثبت أسانيده المسمى: (العقـود اللؤلؤية في الأسانيد الحديثة)، وولاه الإدريسي القضاء بميدي، والخطابة بالجامع، والعمودي بفتح العين المهملة والدال المهملة» «نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر» ١/ ٢٧٧.

(١٩) «تحفة القاريء والسامع في اختصار تاريخ اللامع» ٤٧.

(٢٠) قال عنه الزركلي: «القاسم بن على بن هتيمل الخزاعي «... ـ نحو ٦٩٦هـ): شاعر المخـلاف السليمـاني في عصره، كان كثير التنقل بين اليمن والحجاز مدح المظفر الرسولي ورجال دولته، وأحمد بن الحسين القاسمي الإمامي الزيدي المقتول سنة ٦٥٦ [هـ] وبعض أشراف مكة، وأمراء المخلاف السليماني، وعاش مايقرب من مائة عام، ومات فقيرا» «الأعلام» ٥/ ١٧٨، انظر مقدمة: «ديوانه» للعقيلي ص٦.

(٢١) أحمد بن حافظ الحكمي، «الشعر اليمني ٥٦٩هـ ـ ١٠٤٥هـ»، رسالة دكتوراه لم تطبع ٣/ ١٢٢٧هـ.

(٢٢) أراد القاسم بن علي الذروي.

(٢٣) يقـول العقيلي «الجـروب بضم الجيم والراء المهملة آخـره باء مـوحـدة من قرى الحسيني..» «المعجم الجغـرافي لمقـاطعـة جازان» ١٢٠، وفي ديـوان ابن هتيمل: «الجروب: بلد الممدوح [القاسم الذروي]، وهي قرية صغيرة شرق قرية العريش» ٣٥.

(٢٤) «ديوانه»، ٣٥، ٣٦.

(٢٥) المصدر نفسه ٣٤.

(٢٦) محمد بن أحمد العقيلي، «تاريخ المخلاف السليماني» ١/ ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢٧) المصدر نفسه ١/ ٢٠٧.

(٢٨) المصدر نفسه ١/ ٢٠٩.

(٢٩) قال الزركلي: «عمر بن على بن رسول، واسمه محمد بن هارون بن أبي الفتح الغساني التركماني، نور الدين الملقب بالملك المنصور: مؤسس الدولة الرسولية في اليمن، وأحد الدهاة الأجواد الشجعان، ولد بمصر، ونشأ أديباً فاضلا، حسن الاتصال ببني أيوب، ولما دخل الأيوبيون اليمن كان الرسول مع أحدهم الملك المسعود بن الملك الكامل، فقلده المسعود أعمالا كثيرة ظهرت فيها كفايته، ولما توجه إلى مصر جعله نائبا عنه في اليمن سنة ٦٢٦هـ، استولى الرسولي على اليمن وأظهر النيابة عن الأيوبيين إلى أن أعد جيشا ضخما حارب به عساكرهم، واستقل بالملك، وتلقب بالملك المنصور، وضربت

السكة باسمه وخطب له في جميع أقطار اليمن سنة ٦٣٠هـ، وكانت إقامته في الجند وجهز حملة إلى الحجاز، فاستولى على مكة وتوابعها، وتم له ملك مابينها وبين حضرموت» «الاعلام» ٥/ ٥٦.

(٣٠) محمد بن أحمد العقيلي، «تاريخ المخلاف السليماني» ١/ ٢٠٩.

(٣١) قال العقيلي: «بيش: بفتح الباء وسكون الياء وآخره شين معجمة، وادٍ من أكبر أودية تهامة» وله عدة قرى، «المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان» ٨٠، انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي ١/ ٥٢٨.

(٣٢) قال الحجري: «حرض بفتح الحاء والراء المهملتين وبالضاد المعجمة: بلدة من تهامة مشهورة فيها مركز تلك الناحية، وهي من صنعاء في الغرب الشمالي على بعد ست مراحل من صنعاء، يتصل بها من شماليها بلاد أبي عريش ومن شرقيها بلاد خولان بن عمرو بن الحاف من أعمال صعدة ومن جنوبيها وغربيها بلاد بني مروان من أعمال ميدي وحرض، وفرضة تلك الناحية ميدي غربي حرض على ساحل البحر الأحمر...» «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» مج١/ ج٢/ ٢٥٦، انظر: «معجم البلدان» لياقوت ٢/ ٢٤٣.

(٣٣) محمد بن أحمد العقيلي، «ديوان الشاعر القاسم بن على بن هتيمل: دراسة وتحليل» ٥٤.

(٣٤) المصدر نفسه ٥٤، ٥٥

(٣٥) المصدر نفسه ١٣.

(٣٦) محمد بن أحمد العقيلي: «ديوان الجراح بن شاجر الذروي»، ١٠

(٣٧) عبدالله بن على العمودي، كتابه السابق، ٤٩.

(٣٨) محمد بن أحمد العقيلي، «أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان، ١/ ١٢٦.

(٣٩) محمد بن أحمد العقيلي، «ديوان الشاعر القاسم بن على بن هتيمل: دراسة وتحليل»، ٣٤.

(٤٠) القصيدة نفسها، انظر: «ديوان الحراج من شاجر الذروي» ١٠

(٤١) محمد بن أحمد العقيلي، «ديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل: دراسة وتحليل» ٩١.

(٤٢) محمد بن أحمد العقيلي، «أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان» ١٣٠.

(٤٣) محمد بن أحمد عيسى العقيلي، «حول تاريخ المخلاف السليماني تعليق على مقالين»، المنهل، ج٩، س٢٣، مج، ٢٠، (ذو القعدة ١٣٧٨هـ) ص ٤٣٠.

(٤٤) في الأصل: «القسم».

(٤٥) المخلاف السليماني.

(٤٦) في الأصل : «بلى».

(٤٧) في الأصل «القسم».

(٤٨) في الأصل: «هذي»، ولعله أراد: هذه فرصتي ومنتهى أملي.

(٤٩) كذا في الأصل.

(٥٠) أراد تحرث

(٥١) انظر ص ١٤.

(٥٢) لم يحـدد أبو الرجال اسم شريف مكة الذي كاتب المظفر الرسولي، وإنما هو بذكره للمظفر قد اندفع الظن أن هذه الحادثة وقعت في عهد غيره، بل تدعو إلى تحقيق اسم شريف مكة القائم بإمارتها عندئذ، ولعل تحديدنا لهذا الاسم يدلنا على زمن نظم هذه القصيدة، وزمن إنشاء القصيدة الثانية في السجن.

(٥٣) قال ياقوت: «حَلْيٌ: بالفتح ثم السكون، بوزن ظبي، قال عمارة اليمني: حَلْيٌ مدينة باليمن على ساحل البحر، بينها وبين السرين يوم واحد، وبينها وبين مكة ثمانية أيام..» «معجم البلدان» ٢ /٢٩٧. وقال الحجري: «حَلْي ابن يعقوب بفتح الحاء وسكون اللام، بلد من تهامة في شماليها جنوبي القنفذة على مسافة سبع مراحل إلى مكة» «معجم بلدان اليمن وقبائلها» مج ١ /ح١ / ٢٨٠.

(٥٤) هذا يدل على أن القاسم الذروي كان شاعرا، وأن له نتاجا في هذا الشأن.

(٥٥) في الأصل: «هذي».

(٥٦) من آية ٤٠ سورة الأعراف.

(٥٧) لعله ضبـاب ملأ الشعب، فخيل للناظر التئامه، ويؤكد هذا قول القبي: «وصار مابين الجبلين كالجبل الواحد بالمشاهدة».، «الجواهر اللطاف» ٢٣.

(٥٨) رسمت هذه الكلمة في الأصل، هكذا: «فأخرج»، ثم اصلحت.

(٥٩) لقد نسج حول هذه القصة العديد من الأخبار، والرؤى، بما قد يخرجها عن واقعيتها، وذلك مامنع الباحث هنا من إيراد تلك الأخبار، بل رأى تجريد هذا الدرس العلمي، مما قد يضعف نهجه، ويفسد حقيقته.

(٦٠) ٤،٣ / ٢٠٦ ـ ٢٠٩.

(٦١) زيادة من المحقق.

(٦٢) ٤ /٢٧٠.

(٦٤) المصدر نفسه ٤ /٢٧٣، وانظر ص ١٠.

(٦٥) نلاحظ تشابه أقوال علماء المخلاف السليمان، إذ يبدو أنها اعتمدت على مصدر واحد.

(٦٦) الضمير هنا عائد إلى الذرويين.

(٦٧) ورقة ٨.

(٦٨) قال عنه محمد بن محمد زباره: «السيد العلامة الشهير الحجة الشاعر البليغ البارع المحقق النحرير محمد بن حيدر بن ناصر بن هادي القبي النعمي مولده بقرية الملحا من أعمال وادي بيش، وبها نشأ في حجر والده، وطلب العلم بذهن وقاد وفهم ثاقب» «كتابه السابق» ٢/٥٢٥، وقد عدد زباره مشايخه، ورحلاته العلمية، وأورد شيئا من شعره، وقال بأنه توفي سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢هـ.

(٦٩) كذا في الأصل.

(٧٠) قيل في الحاشية: «من قصيدة القاسم بن على المشهورة ولها قصة».

(٧١) من آية ٤٠ سورة الأعراف.

(٧٢) في الأصل: «فالتئم».

(٧٣) أراد بلدان المخلاف السليماني بتهامة.

(٧٤) ٢٤، ٣٥.

(٧٥) في الأصل: «بن».

(٧٦) في الأصل: «بن».

(٧٧) في الأصل: «بن».

(٧٨) في الأصل: «بن».

(٧٩) في الأصل: «بن».

(٨٠) في الأصل: «بن».

(٨١) ٤٧ .

(٨٢) يدل هذا القول على شيوع ذكر هذه القصيدة، وقد قيل في حاشيته: «وقد سقت القصة بتمامها في الأصل: اللامع»

(٨٣) لم تكد تذكر المصادر شيئا من حياة هذا الأمير، ومع ذلك فديوان ابن هتيمل قد يشير إلى طرف من حياته، وبخاصة الشعر الذي قيل فيه، أو تعرض لذكره مما قد يفيد بالفعل في ترجمته.

(٨٤) قال ياقوت الحموي: «جازان بالزاي موضع في طريق حاج صنعاء» «معجم البلدان» ٢/٩٤، انظر تفصيلات عنه في كتاب :المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان» للعقيلي ص ٩٥.

(٨٥) ١/٣٥.ومنها:

«سابحات مقربات ضمر أعوجيات عتاق شزّبا

بريت آذانها من جودة مثل أقلام بهما كم كتبا

داحسـيـات إذا ما طردت فائتا ما بان عنـهـا هربـا
وإذا ما انـحـدرت عن طارد سبـقـت لم يبـغ منـهـا أربـا
عودت بالحـرب حتـى انـهـا لم تزل تهـوى التـلاقـي طربـا...»
انظر «سمط النجوم العوالي» ٤/ ٢٧٣.

(٨٦) ١/ ١٨٥
(٨٧) «مطلع البدور» ٣، ٤/ ٢٠٧
(٨٨) «الديباج الخسرواني» ٨.
(٨٩) الجواهر اللطاف.
(٩٠) «تحفة القارىء والسامع» ٤٧.
(٩١) «تاريخ المخلاف السليماني» ١/ ١٨٥
(٩٢) كتابه السابق ٢٥.
(٩٣) محمد بن أحمد العقيلي، «ديوان الشاعر القاسم بن على بن هتيمل: دراسة وتحليل» ٢٨.
(٩٤) كتابه السابق ٤/ ٢٧٠.
(٩٥) كتابه السابق ٤/ ٢٧٠.
(٩٦) المصدر نفسه ٤/ ٢٧٣
(٩٧) يقول ابن هتيمل: «يعزي الأمير قاسم الذروي في ابنه عبدالله»:

تاس ولا تجـزع فقـد قضي الأمـر وليس يضـر الشمس إن فقـد البدر
وإن غاب نجـم عنـك أزهـر غائـم فحـولك من إخـوانـه انـجم زهـر
بنـفـسي قتيـل أسلمتـه يد الردى نفـوس أخفتهـا السفـاهـة والدعـر

* * *

بني ذروة تنقـون من أهـل دهـركم خيـارا كمـا ينقى من الحشف التمر
أرى الأرض يبسا وهي مخضلة الربى وفـيـهـا أنيس وهي موحشـة قفـر
أظل وقـد الوى بمـنـزلك البـلا أحـوم كأنـي طائـر ماله - وكـر
وحسبـك اني بعـد موتـك منـطو على اليأس من روحي وأن يدي صفر»
«ديوانه» ٨٧، ٨٨
(٩٨) كتابه السابق ٢٠٦، ٢٠٧.

(٩٩) كتابه السابق ٤/ ٢٧٤، ٢٧٥.

(١٠٠) أحمد أبو رجال، كتابه السابق، ٣، ٤/ ٢٠٨..

(١٠١) عاتق بن غيث البلادي، «بائية الذروي سببها بائية قبلها»، مجلة المنهل، ع٤٧٩ ، س ٥٦ مج ٥١، (شعبان ١٤١٠هـ) ١٩٦.

(١٠٢) كتابه السابق ٣، ٤/ ٢٣٤.

(١٠٣) كتابه السابق ١/ ٣٠٦.

(١٠٤) ص ٥٨.

ثانيا :

التحقيق

قيمة هذه القصيدة، وفائدتها:

تتحقق قيمة هذه القصيدة في أهمية معانيها، ومنزلتها الفنية. أما القيمة المعنوية فتتجلى في مضمونها الإنساني، وما دلت عليه هذه المعاني من القضايا التاريخية، والقيم الاجتماعية، فالحق أنها دلت على واقع الحياة السياسية في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وما أدت إليه تلك العلاقات من الخلاف والتباغظ، فلقد كشفت هذه المعاني عن: معاناة الشاعر الذروي في سجن المظفر، وما كان عليه في مقامه من:الضيق والحرج، والذل، والهوان، فضلا عن وضوح الدلالة النفسية التي صدرت عنها هذه القصيدة، فقد كشفت عن حقيقة هذا الإنسان الشاعر، الذي كان تارة يتمثل النهج الإنساني في استكانة وخضوع، وتارة أخرى يترسم نهج الأنفة والإباء، إذا تراه يزاوج بين الحالين، لم يشأ الركون إلى الدعة والخمول، ولا إلى الإثارة والانفعال، بل مضى في قصيدته يحقق موقفه الإنساني المؤلم ويذكى همته وشعوره الحزين، حتى إذا اطمأن لتعاطف سامعيه، أيقظ همة البأس في نفسه، وأذكى أوراها فلم يهدأ حتى استقام له النظر، وارتفع به الشعور، مما جعل قصيدته سجلا حقيقا لمقامه في الأسر، وأعطاها بعدا إنسانيا ظاهرا، بل كشف من خلالها عن قضية سياسية معقدة!

ولئن دلل هذا القول على القيمة المعنوية لهذه القصيدة، ليدلن أيضا على قيمتها الفنية التي تحققت في صدق تجربة قائلها، وما حملته من مظاهر الأسلوب والأداء الفني، فلقد أشرقت أبياتها

بحسن التعبير، وسلاسة الألفاظ، في وقت كان فيه الشعر ببلدان الجزيرة العربية أشد بعدا عن جودة التعبير، والقدرة الأسلوبية، إذ نلحظ في غالب نصوصه الضعف والقصور، وذلك ما آلت إليه القصيدة العربية عندئذ من مظاهر التكلف والانحسار، والحق أن شاعرية هذا الأديب قد انسابت عبر تكوينه الفني لقصيدته، ودللت على عذوبة وسهولة، بل على انسجام لفظي. وهو ما حقق للشاعر صدق التجربة ووضوحها، وهيأ للقاريء والسامع حلاوة التذوق الأدبي، وعذوبته!

ولكي يكون الباحث أكثر واقعية، وأوضح تناولا لقيمة هذه القصيدة أمكن القول بأن بعض ألفاظها أقرب للقاموسية، وأميل إلى الإيغال الأسلوبي، والإبهام اللفظي، مثل قوله: «دنف»، «طنبوا»، «الحوباء»، «الشناخيب»، «الدارعين»، «شزبا»، ونحوها، وربما كان ميله للتصغير أظهر، في مثل قوله: «لييلات» «أحيبابي»، وإلى الفصل بالجمل في مثل قوله: «ونرى سدركم والكثبا»، «ونرى الحيّ»، وقد يلاحظ على النص وقوع قائله في بعض الضرورات القبيحة، والكسر العروضي أحيانا، مثل قوله في الأولى: «وينال المرتجي»، وقوله في الثانية:

حبذا أرض القعيسا وطني ولييلات بهما ما أطيبا

وكان الذروي أيضا كثير الاقتباس من آيات القرآن الكريم، وآثار السابقين من الشعراء، فضلا عن وضوح ثقافته المحلية، وما كان يحيط به ألفاظه من المعطيات الفكرية المكتسبة، كأن يفيد من بعض المصطلحات المحلية مثل لفظ: «الشام» الذي تردد كثيرا في مطالع

بعض مقاطع القصيدة، وليس بخاف على متذوق هذا النص ماتوحي به هذه الكلمة من أحاسيس الذكريات، وشعور الحنين، ناهيك عن التكرار اللفظي المناسب الذي ظهر في أكثر من موطن، وقد يؤخذ على الشاعر بعض الملحوظات اللغوية في مثل قوله:

وينــال المرتــجى من ربـه   في أعـاديـه الذي قد طلبـا

حيث أهمل جواب إنْ في البيت السابق لهذا البيت، وهو:

رب إن يقض به ذو أرب   موجـع القـلب أسـيـر أربـا

وربما تعمد الشاعر التسهيل في مثل قوله:

إن خَبَـوني عنـك في مستودع   فشـهـاب العـزم مني ما خبـا

فلقد سهّل الهمزة في لفظ: خبأ الأولى، والثانية.

ويمكن التنبيه في هذا المقام لما وقع فيه النسّاخ لهذه الآثار المخطوطة المعتمدة، مما يعد من المآخذ الأسلوبية، مثل عدم التفريق بين رسم حرفي الظاء، والضاد، أو المقصور والممدود والشواهد كثيرة، فضلا عن وضوح التسهيل والحذف، وكذا الإهمال، والأعجام، والتصحيف، والتحريف، ونحو ذلك.

النسخ المعتمدة في التحقيق:

تم الاعتماد في تحقيق هذه القصيدة على ثلاث نسخ، منها اثنتان مخطوطتان، والثالثة مطبوعة منشورة، حيث رمزت لتلك النسخ بالرموز الآتية: «ل»، «م»، «و»، وفق ترتيبها، فالنسخة «ل» نسخة مخطوطة، توجد ضمن مخطوط: «مطلع البدور ومجمع البحور» لأحمد بن صالح بن أبي الرجال (١٠٢٩ ـ ١٠٩٢هـ) الذي يوجد

في مكتة القاضي محمد الحجي الخاصة بمدينة ذمار اليمنية في أربعـة أجزاء، تقع في مجلدين، نسخ الأول في سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م، والثاني في سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، وتحوى أبيات هذه القصيـدة من صفحـات هذا المخطوط: الصفحتين ٢٠٧، ٢٠٨، حيث تقع الصفحة الأولى في تسعة وعشرين بيتا، والثانية أيضا في تسعـة وعشرين بيتا في كل بيت: تسع كلمات، وهي مكتوبة بخط نسخي معتاد.

أما النسخة الخطية الثانية فهي النسخة «م»، وهي أيضا توجد ضمن مخطوط: «تحفة القارىء والسامع في اختصار تاريخ اللامع» لعبدالله بن على العمودي، الذي يوجد في مكتبة إبراهيم العمودي الخاصة بمدينة الرياض، بدون رقم، ولا تاريخ، وهي نسخة ناقصة تحوي من صفحات هذا المخطوط: الصفحتين ٤٧، ٤٨، حيث تقع الصفحة الأولى في سبعة عشر بيتا، والصفحة الثانية في أربعة وعشرين بيتا، وهي مكتوبة بخط نسخي معتاد، بقلم العمودي نفسه.

أما النسخة المطبوعة المنشورة فهي النسخة «و»، وتوجد ضمن كتـاب «التاريخ الآدبي لمنطقة جازان» لمحمد بن أحمد العقيلي، وتحوى من صفحات هذا الكتاب: الصفحات: ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، وتقع الصفحة الأولى في خمسة عشر بيتا، والثانية في ثمـانيـة عشر بيتا، والثالثة في أحد عشر بيتا، والرابعة في ثلاثة أبيات، والخامسة في تسعة أبيات، وتنقص هذه النسخة في عدد أبيـاتهـا عن النسخة «ل» ببيتين هما خاتمة القصيدة، ولم اتخذ إحـدى النسختين الخطيتين «ل»، «م» أصلا للتحقيق أعارض به النسخة الأخرى، نظرا لقرب تاريخ تحريرهما، إذ نسختا فيما يبدو

في زمن متقارب، ولأنهما متشابهتان لا تستحق إحداهما تقديمها على الأخرى، ولقد أصاب النسختين الخطيتين شيء من مظاهر: التحريف، والتصحيف، والإهمال، والحذف، والتسهيل، وبعض الضرورات الشعرية، والمآخذ الأسلوبية، والإملائية، كذلك النسخة المنشورة «و» لم تسلم من بعض المآخذ السابقة عند طباعتها ونشرها.

عملي في التحقيق:

يتضح عملي في تحقيق هذا الأثر الأدبي المخطوط من خلال خدمة النص، والمحاولة الجادة لإعادته إلى سيرته الأولى التي ترك عليها حين تم تحريره، والفراغ منه، فلقد تم تحديد بحر هذه القصيدة ببحر الرمل، وأصلح ما وقع فيها من هنات: عروضية، ولغوية، وإملائية، وحاولت دفع ظاهرة: التصحيف، والتحريف، وما وقع فيه االنساخ من: مظاهر تسهيل الهمز وحذفه، أو في طرق رسم الحروف الهجائية، والتفريق بين المتشابه منها، كذلك عمدت إلى تحقيق الفرق بين رسم المقصور، والممدود، وما يستحقانه من سلامة الرسم، وحقيقة التدوين، ولم أهمل التعريف بالمواطن، والمواضع، والأماكن، والأعلام ما احتاج النص إلي ذلك، وكنت كثير الحرص على التوفيق بين الروايات، ومحاولة الترجيح بين كلماتها ما أمكنني العزم، وظهر لي الصواب، وذلك في دراسة متصلة متأنية، على الرغم من عدم اتخاذ إحدى النسختين الخطيتين أصلا للمعارضة والتحقيق، لما هما عليه من التشابه، والتوافق، ولعدم تميز إحداهما عن الأخرى.

ولكي نحقق القول السابق، نجد إحدى النسخ مثلا ترسم لفظ

«كلما» هكذا «كل ما»، ولفظ «ربى» «ربا»، ولفظ «يتسلى» «يتسلا»، وهكذا، بل إن ظاهرة التصحيف والتحريف ظاهرة لا تكاد تزول في سيرورة تحرير هذا النص، شأن ظواهر الإهمال، والتسهيل، والحذف التي غدت لازمة لكتابه القصيدة.. وتدوينها، وربما تعدى الخطل العلمي في تحرير إحدى نسخ هذا الأثر الأدبي إلى استبدال كلمة بدل كلمة، وهي أحق بالإبقاء، مثل: استبدال لفظ هاشم بـ: «حسن» في شطر البيت الآتي مثلاً:

«ومساعير الوغى من حسن»

أو لفظ أرض بـ «صلب» في قول الشاعر:

«حبذا صلب القعيسا وطني»

إذ ربما لم يخل لهذا العمل من دوافع نفسية، ودواعي تعصبية، هذا بالإضافة إلى وقوع الضعف العروضي في بعض أبيات النسخة «م» مثلا، وما تم إصلاحه فيها من ظاهرة التساهل في تحقيق الحس العروضي، والشواهد على ذلك كثيرة، مما هو مبسوط في الهوامش، ولعل مايمكن عده من عمل المحقق في هذا النص معالجة ظاهرة السقط في الأبيات، أو الزيادة فيها، وبخاصة في بعض النسخ، ناهيك عن التفاوت في رسم بعض الكلمات، وما قد يؤدي إيرادها من اضطراب في معنى البيت، مثل قول الشاعر:

وأشد الناس بأسا لو على   غارب المكروه يوما ركبا

فانظر إلى معنى لفظ «على» هل المراد به حرف الجر «على»، أم هو العلو بمعناه المادي المعهود، ولذلك كله كان عمل المحقق اجتهادا مضطردا، يريد من ورائه خدمة النص، وإخضاعه لضوابط التحقيق المعهودة المعتبرة.

هذه الشريف وادنى الامر الى الشقاق وقال الشريف وبلت فيه اسعار فاسره
السلطان المظفر وحبسه ازمانا شتى ثم سجنه مدة حتى ايس من الخروج وعاد ارجاني الا
لسنه وسمعناه من فضلا الحلاني ان السلطان قال للشريف لا تخرج من سجني حتى يلتئم
هذى الصدع الذي في الحجر واشار الى حجر هناك يريد بذلك احالة خروجه على نحو قوله
تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط فانبعث السيد الى امه وقال تصدقت الاتية فاصبح الصدع
ملتئما وقد لمح السيد الى ذلك في ان نعمت فاخرج عنه السلطان واخرجه وعاد الى بلده بعد ايا ... من
منه والقصيدة هي: من لصب هاجه نشر الصبا ، لم يزده البين الا نصبا
واسير كلما لاح له ، بارق القبلة من صبا صبا
ولطرف ارق انسانه ، دون من سافر قد حجبا
لم يزل يسال عن حلان وان ، قدم العهد وينوي لطنبا
ما جرى ذكر الحمى في دمى ، صرت السطا الا انتحبا
حبذا صلب العصا وطنى ، ولسلاب بهاما طيبا
وربا السرو من سفحيهما ، وزلال بهاما اعذبا
يا اهلاي نصبا واللوى ، واحدا بيتاك اثربا
هل لنا نحوكم من عودة ، ونرى بدر كم ذا الكثبا
ولكم حاولت قلبي جاهدا ، سلا عن هواكم فابا
تذكروا صبا لكم ذا الوعد ، بات عنكم كارها مغتصبا
فاذا عن له ذكركم ، واعصار البسان انتحبا
واذا ما سمعت قمرية ، صاح من فرط الاسا واحربا
هائم القلب كئيب دنف ، لم يرد السلوان عنكم مذهبا
ونرى الحي الذي كنا دهرا ، جيرة بالشام ايام الصبا
ليت شعري بعدنا هل ظعنوا ، ام بحلان نوى طنبا
او نات دارنا عن دارهم ، او سمهم بعدنا البرى سببا
عجبا للدهر ماذا صنعه ، ولاحداث الليالي عجبا
ما حلت السهل الا صعبا ، وطلبت السالم الا حاربا
ولقد حل بقلبي نوب ، معضلات تستحل النوبا
وبلاني زماني محن ، بلغ الصدر بها ما طلبا
فلعمري مات الا صفيا ، واستعز الاصفيا ما حسبا
غير الحكم معروفا ولا ، عابس الوجه اذا الدهر كبا
لا ولا كمثا لوائه ، يهب الجود فما يهب
واسد الناس باسا الوغى ، هارب المكروه يوما راكبا
اخوة بالشام باسا يدا ، واعز الناس اما وابا
وصاغم الوغا من يبس ، وبني الحرب اذا ضاق العبا
الشناخيب الذرا من جشر ، الصناديد الكرام النجبا
ان تصيم من هوانا اربا ، ما قضينا من هواكم اربا

النسخة « ل »

ماطلبت النمل الإ مسعبا ... وطلبت السلم الا احسـربا

ولقد حلت بقلبي لغرب ... معصيات تسهل الصنوبا

وبدالي من زماني محسن ... بلغ الصدبها ما طلبا

فلعمري ما بنا الاصفا ... والتقى الاحساما خشبا

غير الا تكثر موزعا و لا ... عابس الوجه اذ الوجه كلبا

لا ولا مكسبا لم اله ... نهب الحرب فيما نهبا

واشد الناس بالبائلى ... غارب المكروه يوما ركبا

احرى بالشام لباسادكى ... واعز الناس اما وأبا

وما عار الوغا من حسن ... وبني الحرب اذا ضاق الغنا

الناهيب الزرحيها ثم ... المناديد الكرام النجبا

لا تنا سونا وان طال المدى ... كم نوى بعد بعاد قربا

ان تصيتم من هوانا اربا ... ما قضينا من هواكم اربا

وقنات دارنا عن داركم ... بانكم منا على البعد نبا

فا ذارح جنوب جنبت ... فاسلوها كيف حال الغربا

فلديها من بنا هي لم عني ... وعزا في حائط السهبا

حبذا الراني من دو نكم ... خائضا نمر العوالي والظبا

وجياد الخيل يشرن على ... منات الدارعين العزبا

تحت للورا ن لمعنا لشربا ... يتعاطى بالعوالي لشربا

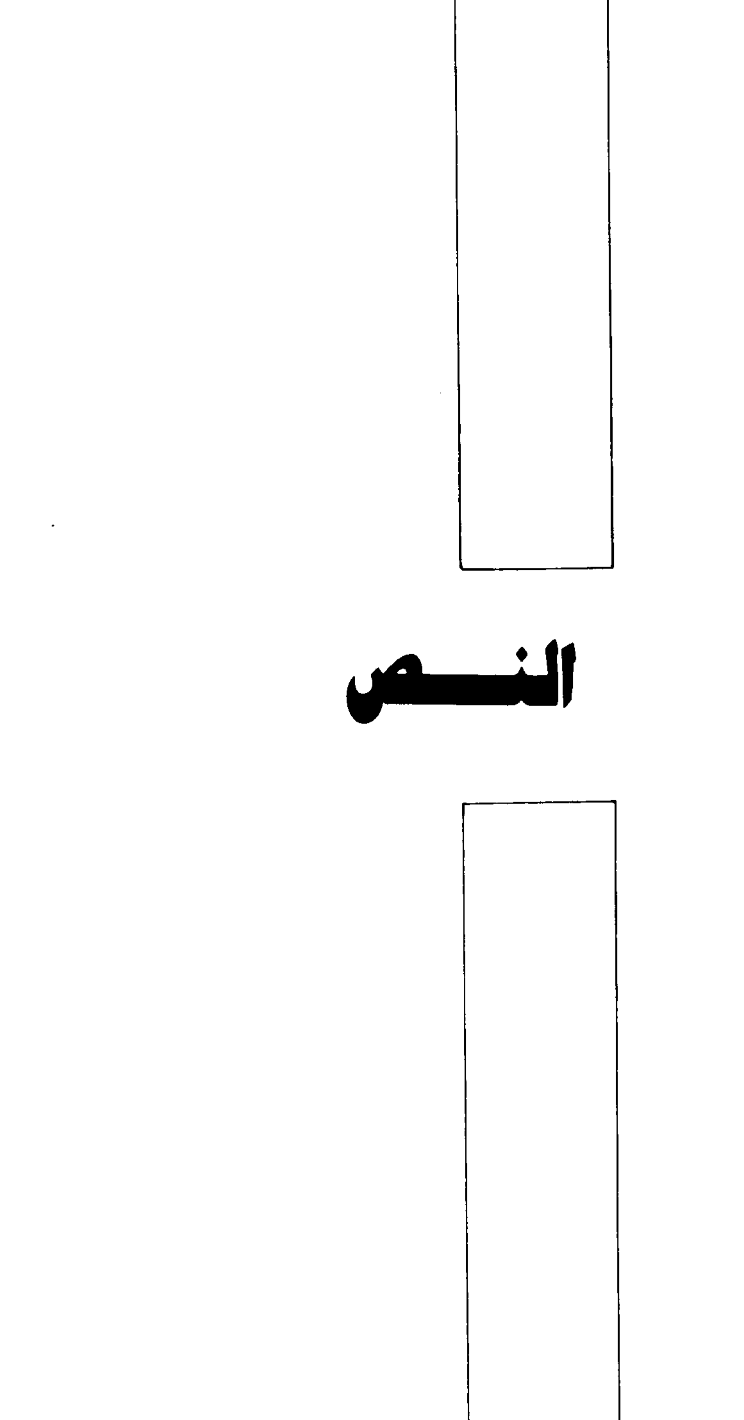
ايها الريح للشام على ... فلك السرك لهات السبا

اوكسو طارمي محنية ... ذات زرقا اذا ما ركبا

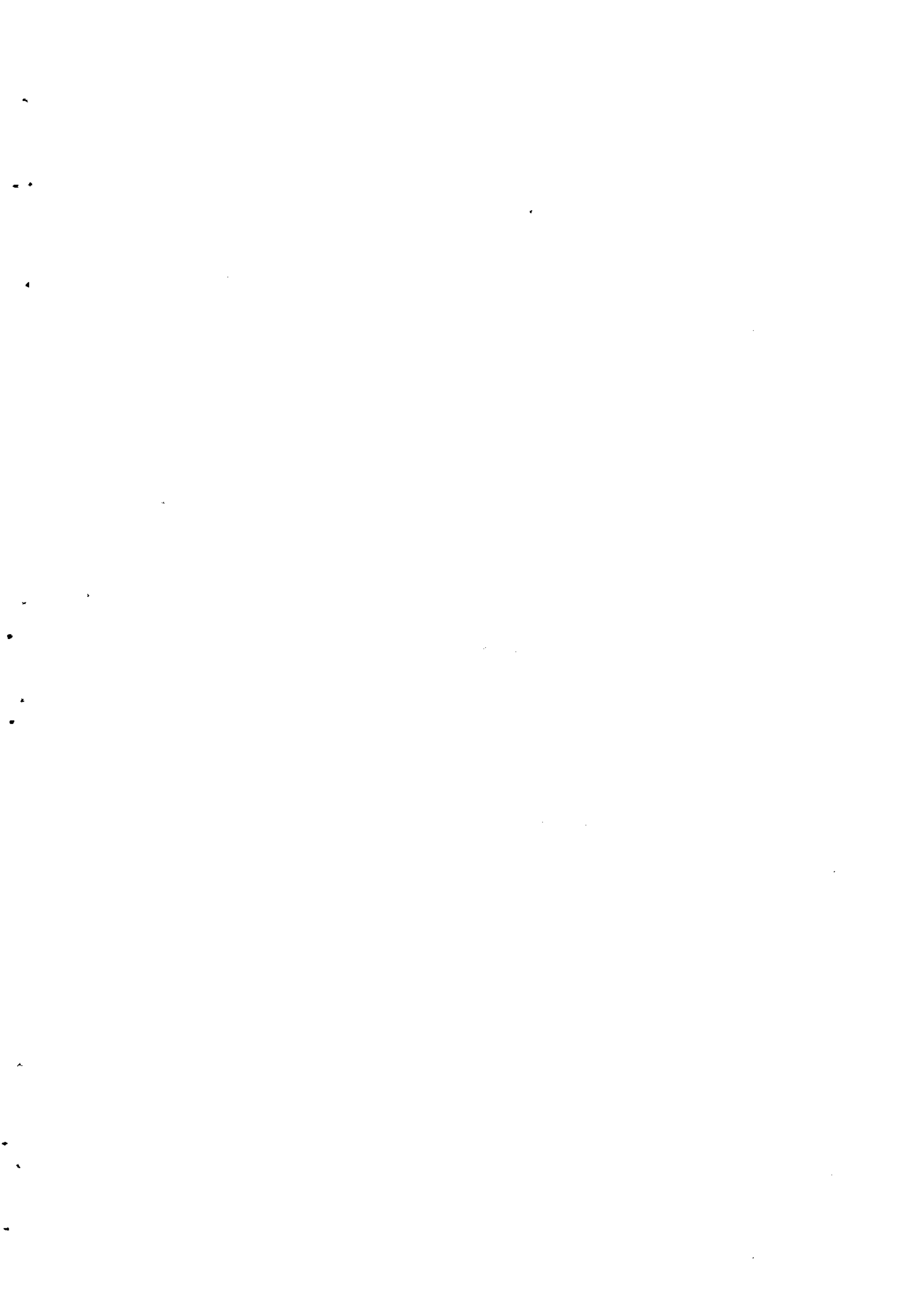
قل لمن كان لنا دون الصفا ... زو لاحداث الليالي سببا

والذي اوقد نيران الجفا ... زد على نارك يا ذا حطبا

واستلب ما شئت عمرا تعني ... عن قريب سحط السلبا



النص



(١) مَنْ لِصَبٍّ هاجَهُ نَشْرُ الصَّبا ... لم يَزِدْهُ البَيْنُ إلاَّ نَصَبا [الرمل

(٢) وأسيرٍ كُلما[١] لَاحَ لَه ... بارقُ القبلةِ مِن صَبْيا[٢] صَبَا[٣]

(٣) ولطَرْفٍ أرقٍ إنسانُه ... دُونَ مَنْ يشتاقُه قد حُجِبا

(٤) لم يزلْ يشتاقُ نخْلَانَ[٤] وإن ... قَدِمَ العهدُ ويهوى الطُّنُبَا[٥]

(٥) ما جرى[٦] ذِكْرُ المغاني في رُبَى[٧] ... صَبِرات[٨] الشَّطِّ[٩] إلاَّ انْتَحبَا

(٦) حَبَّذا أرضُ[١٠] القُعَيْسا وطَنِي ... ولُيَيْلَاتُ[١١] بها[١٢] ما أطْيَبا

(٧) ورُبَى[١٣] البِئْرَيْنِ من قبليهما ... وزُلال بِهِما ما أعْذَبا

* * *

(٨) يا أخلائي[١٤] بصَبْيا واللوى[١٥] ... وأحَيْبَابِي[١٦] بتَيَّاكِ الرُّبا[١٧]

(٩) هَلْ لنا نحوكُمُ من عَوْدَةٍ ... ونرى سدْرَكُمُ والكُثُبَا

(١٠) فَلَكَمْ حاوَلْتُ قلبي جاهِدا ... يَتَسلَّى[١٨] عن هواكُمْ فأبَا[١٩]

(١١) فاذكروا صَبًّا بكم ذا لَوْعَةٍ ... بانَ[٢٠] عنكُمْ كَارِهًا مُغْتَصَبَا

(١٢) فإذا[٢١] عَنَّ[٢٢] له، ذكراكُمُ ... في أُعَيْصَارِ[٢٣] الشَّبَابِ انْتَحبَا

(١٣) وإذا ما سَجَعَتْ قُمْرِيَّةٌ ... صَاحَ مِنْ فرط الأسى[٢٤] وَاحَرَبَا

(١٤) هائمُ القلبِ كئيبٌ[٢٥] دَنِفٌ ... لم يَرَ[٢٦] السُّلوانَ عنكُمْ مَذْهَبا

(١٥) ونَرَى[٢٧] الحيَّ الذي كُنَّا وَهُمْ ... جيرةٌ بالشَّامِ[٢٨] أيامَ الصِّبا

(١٦) ليْتَ شِعْرِي بعدنا هل ظعنوا ... بربى[٢٩] نخلانَ بعدي طُنُبا

(١٧) أو[٣٠] تناءتْ دارُهم عنْ دارنا[٣١] ... أو[٣٢] سَبَتْهُم بعدنا أيدي سَبَا[٣٣]

* * *

(١٨) عَجَباً للدَّهرِ ماذا سَنَّه ولأحداثِ اللَّيالي عَجَبا
(١٩) ما طلبتُ السَّهلَ إلَّا صَعْبَا أو[٣٤] طلبَتُ السِّلمَ إلَّا حَرَبا[٣٥]
(٢٠) ولَقَدْ حَلَّتْ[٣٦] بقلبي نُوَبٌ مُصْمِيَاتٌ تستهلُّ النُّوبا
(٢١) وبَلاني مِنْ زَمانِي محنٌ بَلَغَ الضُّدُّ بها ما طلبا
(٢٢) فَلَعَمْري مانبَا[٣٧] إلا صَفَا وانْتَضى[٣٨] إلا حُسَامًا خَشَبَا
(٢٣) غيرَ لا أُنكر معروفًا وَلَا عابسَ الوَجْهِ إذا الدَّهرُ كَبَا
(٢٤) لا ولا مكتئبًا لو أنَّه نُهبَ الحوْباء[٣٩] فيما نَهَبَا
(٢٥) وأشدُّ النَّاسِ بأساً لو على[٤٠] غارب المكْرُوهِ يومًا رَكِبَا

* * *

(٢٦) إخوتي بالشَّامِ[٤١] بَلْ ياسادتي وَأعزَّ النَّاسِ أمًّا وأبا
(٢٧) ومساعيرَ الوغى مِنْ هاشمٍ[٤٢] وبني الحربِ إذا ضَاقَ القَبَا[٤٣]
(٢٨) الشناخيبَ الذّرى[٤٤] من معشرٍ[٤٥] الصَّناديدَ الكرامَ النجبا
(٢٩) إن قضَيْتُم مِنْ هوانا أرَبَا ما قضينا مِنْ هواكُمْ أربا[٤٦]
(٣٠) أو تناءتْ[٤٧] دَارُنا عن داركم يأتكم منَّا على البعدِ[٤٨] نَبَا
(٣١) لا تنَاسُونا وإن طالَ المدى كَمْ نَوَىً[٤٩] بَعْدَ بِعادٍ قَرُبَا
(٣٢) فإذا ريحُ جَنُوبٍ جَنُبَتْ فأسألوها كَيْفَ حَالُ الغُرَبَا؟
(٣٣) فلديها[٥٠] مِنْ تنَاهِي لوعتي وغرَامي ما يَحُطُّ[٥١] الشُّهُبَا
(٣٤) حَبَّذا لو أننى مِن دونكم خَائضًا سُمْرَ[٥٢] العوالي والظُّبَا[٥٣]
(٣٥) وجيادُ الخيلِ ينثرنَ على مَتْنات الدَّارعينَ العَذبَا
(٣٦) لحق[٥٤] الأقرابُ[٥٥] شعثا شزَّبًا[٥٦] تتبارى بالعوالي شَزَبَا

* * *

(٣٧) أيها الرائحُ للشَّامِ [٥٨] على قلقِ السَّيـر كهَبَّـاتِ الصَّبَـا [٥٩]

(٣٨) أوكـسهمٍ طارَ مِنْ محنيـةٍ ذات دوريـنِ [٦٠] إذا ماركـبَـا

(٣٩) قُلْ لمن كانَ لنا دونَ القَضَا ولأحـداثِ الليـالي سَبَـبَـا

(٤٠) والذي أوقدَ نيـرانَ الـغَضَـا زِدْ على نارِكَ ياذا حَطَبَـا

(٤١) واستلبْ ماشئتَ عمدًا فعَسَى عَن قَليـلٍ تستحـطُ [٦١] السَّلَبَـا

(٤٢) إن يكنْ سرّك ماسـاء فعِش كي تَرَى من بعـدِ هذا [٦٢] عَجَبَـا

(٤٣) أو أمنتَ الدهـرَ يومًـا واحدًا فلقـد حاولتَ ظَنًّـا كَذِبَـا

(٤٤) رُبَّ صَدعٍ [٦٣] كان أعيـا شعْبُـه أدركـتْـهُ رحـمـةٌ فانـشـعـبـا

(٤٥) كم سرورٍ بعـدَ يأسٍ قد أتى وزمـانٍ بعـدَ بؤسٍ [٦٤] أعشبـا

(٤٦) فلكـم فتـحٍ من اللّه أتـى حيـث لا يدرك ساع هَرَبـا

(٤٧) فَجَـلا [٦٥] همًّـا وطفى [٦٦] حرقًـا وشَـفَـى [٦٧] غلًا [٦٨] وجلّى كُرَبَـا

(٤٨) وأعـادتْ رحمـةُ الباري على مُؤيسٍ [٦٩] من حالهِ ما ذهـبـا

* * *

(٤٩) إن خبَوْني [٧٠] عنك في مستودعٍ فشـهـابُ العـزْمِ منـي ماخَـبَـا

(٥٠) أو ملا جفنيك لذاتُ الكَرَى فَجُفُوني والكرى [٧١] ما اصطحبا

(٥١) ربَّ ليـلٍ بِتُّـه مرتـقِـبَـاً لِطَلابِ الثـأر أرعـى الشّـهـبـا

(٥٢) أرقب النّسـرَ [٧٢] هزيعـا طالعـا وأراعـي الغفْـرَ [٧٣] مهمـا غَرُبـا

(٥٣) لنـهـارٍ تنـقُـطُ السُّـمُـرُ به في الوغى [٧٤]، ما شكلت بيض الظبا [٧٥]

(٥٤) والمـذاكي في لظى [٧٦] معـركةٍ عاديـاتٍ [٧٧] ينشـرنّ [٧٨] الغيهبا

(٥٥) ربّ أن يقض [٧٩] به ذو أربٍ موجـعُ القـلـبِ أسـيـرٍ أرَبَـا

(٥٦) وينالُ المرتجى [٨٠] من ربه في أعـاديـه الذي قَدْ طلبـا

(٥٧) وصـلاة اللّه تغشى دائمًـا أحمـدَ المختار ما هبّ الصَّبا [٨١]

(٥٨) أحمـد المختـار محمود النبا [٨٢] مَنْ رَقى [٨٣] السّبـع الشمـا [٨٤] والحجبا [٨٥]

هوامش التحقيق، وتعليقاته:

(١) في «و» : «كل ما».

(٢) قال ياقوت الحموي: «صَبْيا من قرى عثر من ناحية اليمن» ٣/٣٩٢، انظر تفصيلا عنها في كتاب: «المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان» للعقيلي ٢٥١.

(٣) قيل في مختار الصحاح: «الصَّبَابة بالفتح رقة الشوق وحرارته» ٣٥٤.

(٤) انظر ص ١٤.

(٥) قال ابن منظور: «الطُّنْبُ والطُّنُبُ معًا حبل الخباء والسرادق ونحوهما.. والأطناب الطوال من حبال الأخبية والأصر القصار واحدها إصار، والأطناب ما يشد به البيت من الحبال بين الأرض والطرائق ابن سيده : الطنب حبل يشبه البيت والسرادق بين الأرض والطرائق، وقيل هو الوتد، والجمع أطناب وطنبه، وطنبه مده بأطنابه وشده وخباء مطنب ورواق مطنب أي مشدود بالأطناب، وفي الحديث: مابين طنبي المدينة أحوج مني إليها أي مابين طرفيها، والطُّنُب واحد أطناب الخيمة، فاستعاره للطرف والناحية... وطنّب بالمكان أقام به، وعسكر مطنّب لا يرى أقصاه من كثرته» «اللسان» ٢/٤٩،٥٠.

(٦) في «م» : «بدا».

(٧) في «م»: «ربا»، وقد ترسم هكذا.

(٨) يقول العقيلي : «الضبر شجر معروف بهذا الاسم في المنطقة، والشط يقصد به ضفة الوادي» «ديوان الجراح بن شاجر الذروي» ص ١٠

(٩) في : «ل» : «السط»، والإهمال وارد مطرد في هذه النسخة بما يغني عن إيراد مثله.

(١٠) في : «ل» : «صلب».

(١١) تعود الشاعر التصغير في أكثر من موطن من هذه القصيدة.

(١٢) في «ل» : «بهما»، وبه ينكسر البيت.

(١٣) في «ل»، و «م» : «ربا».

(١٤) في «م» : «إحبائي».

(١٥) قال العقيلي : «اللوى بكسر اللام والواو، ثم ياء مثناة تحتية، حلة بكسر الحاء في غزي خميعة» «معجم الجغرافي لمقاطعة جازان» ٣٧٢.

(١٦) في «و» : «واصداقي»، وفي «م» : «واحبائى».

(١٧) في «و» : «الربى».

(١٨) في «ل»، و «و» : «يتسلا».

(١٩) في «و» : فأبي.

(٢٠) في «ل» : «بات».

(٢١) في «و» : «وإذا».

(٢٢) في «م» : «غنا».

(٢٣) في «م» : «أغيصان».

(٢٤) في «و» : «الجوى».

(٢٥) في «م» : «كنبيا»، وهو خطأ نحوي.

(٢٦) في «م» : «لم يرى»، وهو خطأ.

(٢٧) سقط هذا البيت في في «م».

(٢٨) قال العقيلي : «أنشأ القصيدة وهو في السجن بـ: تعز، وأهل تلك الجهة يطلقون اسم الشام على المخلاف السليماني، وما بعده «التاريخ الأدبي لمنطقة جازان» ١٨٦، ولعله انطلق من المفهوم المعهود: شام الأرض ويمنها، وفي الحديث: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا»، انظر: «جامع الأصول في أحاديث الرسول» لابن الأثير الجزري ١٠/٦٢.

(٢٩) في «ل» : و«م»: «ربا».

(٣٠) في «م» : «أم».

(٣١) ورد هذا الشطر في «ل» هكذا:
«أو تناءت دارنا عن دارهم».

(٣٢) في «م» : «أم».

(٣٣) قال الحجري : «هذا الاسم يجمع قبائل اليمن بني سبأ يشجب بن يعرب بن قحطان، وهم: حمير بن سبأ وكهلان بن سبأ..»«مجموع بلدان اليمن وقبائلها» مج ٢/ج٣/٤١٣.

(٣٤) في «ل»، «م» : «وطلبت».

(٣٥) في «ل» : «حاربا».

(٣٦) في «ل» : «حل».

(٣٧) في «ل» : «نبت».

(٣٨) في «و» : «وانتضت».

(٣٩) حذفت الهمزة في: «ل»، «م» وبها ينكسر البيت.

(٤٠) وقد يقرأ البيت هكذا:

واشـد النـاس باسـا لو علا غارب المـكـروه يومـأ ركـبـا

(٤١) انظر ص ٤٣.

(٤٢) في «ل»، «م» : «حسن».

(٤٣) انظر: «اللسان» لابن منظور ٢٠/٢٨، مادة «قبا».

(٤٤) قال الرازي: « ذُرًا : الشيء بالضم أعاليه، الواحدة ذُرَا بكسر الذال وضمها» «مختار الصحيح» ٢٢٢.

(٤٥) في «م» : هاشم.

(٤٦) تقدم هذا البيت في «م» على البيتين اللذين يليانه. إرَبا وأرَبا كلاهما جائز والأرب: الحاجة، ويجوز الإرَب: جمع إرْبةَ، قال تعالى «أو التابعين غير أولي الإرْبة من الرجال» النور ٣١.

(٤٧) في «م» : «وتناءت».

(٤٨) في «و» : «الدهر»، وفي «ل» ورد العشر الأول هكذا: «أو تناءت دارنا عنكم ولم».

(٤٩) في «ل» : « نوا»: وهو خطأ إملائي.

(٥٠) في «ل» : «ولديها».

(٥١) في «ل» : «يحيط».

(٥٢) في «م» : «لسمر»، وبه ينكسر البيت.

(٥٣) قيل في «المعجم الوسيط» «الظبة: حد السيف والسنان والخنجر، وما أشبهها ج (ظُباً، وظُبَاتٌ، وظُبُونَ». ٢/٥٨.

(٥٤) في «م» : «تحت».

(٥٥) في «م» : «الاقران».

(٥٦) قيل في «المعجم الوسيط»: «شَزَّبَ الحيوان ضمره، وذلّلَهُ» ١/٤٨٤.

(٥٧) في «ل» : «للتعاطي»، وفي «م»: «يتعاطي».

(٥٨) في «ل» : «بالشام».

(٥٩) في «ل» : «الضبا».

(٦٠) في «م» : «ذروي».

(٦١) في «م» : «ستحط».

(٦٢) في «ل» : «هذى».

(٦٣) في «م» : «كاد».

(٦٤) في «و» : «محل».

(٦٥) في «و» : «فجلىّ».

(٦٦) في «و» : «وأطفى».

(٦٧) في «ل» : «وشفا».

(٦٨) في «و» : «غيظا».

(٦٩) في «ل» : «مولس».

(٧٠) في: «ل»: «حيوني».

(١) في «ل» : «والكرا».

(٧٢) قيل في «المعجم الوسيط»: «والنسر الطائر مجموعة من النجوم معروفة بمشابهتها للنسر والنجم ذو القدر الأول منها يسمى الطائر، والنَّسْرُ الواقع: النجم ذو القدر الأول في مجموعة النجوم التي تسمى الشلياق، وكلا النُّسرين في النصف الشمالي من القبة السماوية» ٢/٩٢٥.

(٧٣) قيل في المصدر السابق: «الغَفْرُ... واحدته غَفْرة [وهي] منزل للقمر ثلاثة أنجم صغار، وهي من الميزان...» ٢/٣٦٣.

(٧٤) في «ل» : «الوغا».

(٧٥) في «ل» : «الصبيا».

(٧٦) في «ل» : «لظا».

(٧٧) في «ل» : «محسبات».

(٧٨) في «ل» : «ينثرن».

(٧٩) في «ل» : «و»: «يقضي».

(٨٠) لم يأت الشاعر بجواب إن

(٨١) لم يرد هذا البيت في «م» و: «و».

(٨٢) حذف الشاعر الهمز هنا من أجل الوزن.

(٨٣) في «ل» : «رقا».

(٨٤) حذف الشعر الهمز هنا من أجل الوزن.

(٨٥) لم يرد هذا البيت في «م»، و: «و»، وقد قيل بعده في «ل»: «قلت وهذه القصيدة تدل على عذوبة ناشئة، ورقة حاشية، وقل مايكون ذلك [في مَنْ] كان مثل [هذا] الشريف من أحلاس الخيل وسراة الليل، وروى أن السيد الحافظ شمس الملة أحمد بن عبدالله بن الوزير رحمه الله في عام حجه لما نزل مدينة صبيا صبا إليه كل أديب، والم بمنزله كل محب يتروون من معينه، ويروون من علومه، ولما خرج متوجها شيعه الفضلاء، واستقام عند جمله الذي ركب عليه العلامة محمد المحلوى الشافعي والد إسماعيل شارح الملحه فاستودع السيد شمس الدين، وقال له السيد أنتم في حفظ الله:

إن قصيتم من هوانا اربا ... ماقضينا من هواكم اربا...»

ص ٢٠٩

ثالثا : التحليل

توطئة :

مضى زمن والناس يجهلون تاريخ الأدب في جزيرة العرب عبر القـرون الأخيرة الماضية، إذ صرفهم عن النظر في تراثهم، حب الجـديد، وكره التقليد، وما أشيع عن تاريخهم الأدبي من ضعف وانحطاط، فلقد أغناهم مابين أيديهم من تاريخ أدبي مشهود، فمن الواضح أن دارسي الأدب ومؤرخيه أشتات مختلفون بين رافض لإيجـاد منهـج تاريخي أدبي مقبـول، وبين مؤيد تنقصه الحجة، وأسباب التمكين، وإذا كان تاريخنا الأدبي بعامة يحتاج إلى منهج سوي واضح، فإن تاريخ الأدب في جزيرة العرب أشد حاجة إلى الدراسة والتحقيق، وإلى البحث والتدوين، فلعله عند الإحاطة به، يسد حلقة مفقودة من تاريخ الأدب العربي الواسع، فلقد مر على جزيرة العرب في القرون الماضية حين أضاع الناس خلاله تراثهم، وأهملوه، وربما تساهلوا في: جمعه ، وحفظه، والاهتمام به، حيث أخذت أيدي الضياع تصل إلى مظان هذا التراث، مما تسبب في فقده، وبيعه أحيانا بأبخس الأثمان وأقلها، ولم يكن حرص الرحالة العجم، ومن سلك منهجهم من الأوروبيين وغيـرهم مقصورا على اقتنـاء المخطوطات وجمعها، وإنما يعد من أسباب الغزو الفكري الذي أدركه أبناء الأمة اليوم، وقد وجدوا أنفسهم يقفون على أبواب المكتبـات في العالم الغربي، وتركيا يسألون خزنتها السماح لهم بالتصـويـر فقـط، فلا عجب أن لمسنـا القصور في تاريخ الأدب ومنهجه، ففاقد الشيء لا يعطيه؟

ومهما يكن من أمر فإن مراكز الفكر في: تهامة، وعسير لم تكن معروفة شأن أمثالها في الحجاز، واليمن، وإنما كانت معروفة لدى نفر من أبنائها المتحمسين الذين خدموا تراثها في ميدان التحقيق، والبحث، وهم قلة لم يسلم عمل بعضهم من آثار التعميم والعجلة، إذا خلطوا عملا صالحا بآخر دونه، مما أضر بهذا التراث، وأفقده أحيانا قيمته العلمية، ومع ذلك لم تعد بلدان جنوبي الجزيرة العربية نهبا لأخيلة الرحالة، ومجالاً لحديثهم الضعيف السقيم، ولعل هذه القضايا الظاهرة تثير الحماس لدى الباحثين لييمموا جهودهم العلمية شطر هذه البيئات المنسية، وما الاهتمام بهذا الأمير الشاعر في القرن السابع الهجري، وبقصيدته، إلا رغبة في تحقيق هذا الشعور، فألحق أن بلدان المخلاف السليماني بتهامة تعد من البيئات الفكرية المعهودة في جنوبي الجزيرة العربية لما اشتملت عليه من تراث وافر، ولما اتصفت به من مظاهر اليقظة الأدبية الجادة.

مع الشاعر، والقصيدة:

أنشأ الشاعر القاسم الذروي قصيدته إثر تجربة شعرية صادقة، فلقد عاش فترة سجنه بين آلام النفس وحزنها، وبين همتها وأملها، لم يشأ أن تطغى على نفسه روح الكآبة والحزن، وإنما مزج تلك الروح بمظهر الحنين والشوق، في صورة إنسانية ظاهرة، فهو الأمير النابه، والفارس المقدام، لقد تلطف فأخذ يتلمس الذكريات، ويطفيء الوجد الكامن في سويداء قلبة، إذ قال:

من لصب هاجــه نشــر الصبــا ... لم يزده البــيــن إلا نصـــبــا
وأســيــر كلمـــا لاح لـــه ... بارق القــبلة من صببيــا صبــا
ولطرف أرق إنــســانــه ... دون من يشــتــاقــه قد حـجبــا
لم يزل يشتــاق نخــلان[1] وإن ... قدم العـهـد، ويهــوى الطنبــا
ما جرى ذكــر المغاني في ربى ... ضبـــرات الشـــط إلا انــتحبــا
حبـذا أرض القعيسـا[2] وطنى ... وليــيـــلات بهـــا ما أطيـــبــا
وربـى البئـــريـن من قبليهمـــا ... وزلال بهـمـــا ما أعــذبا[3]

انـظر إليـه في هذه الأبيات، وقد اتخذ مساراً نفسيا صادقا، يسعفه في تكوينه هذا الأسلوب التعبيري المناسب، انطلق لا يلوي على شيء، وإنما يتساءل في: حزن وألم، يظهر وجده، ويبدي شوقه، وذلك في ألفــاظ متجـانســة سلسلة، سهلَة، حتى اتكـأ على هذه الظاهرة الطبيعة، ظاهرة البرق، وقد أدركها تلوح قبل موطنه، ومهوى فؤاده، توافق غريب: السجن، والبرق، الآلام، والذكريات، آلام المقام ماثلة في قسوة السجن، وذكريات الماضـي ظاهرة في انبعاث لمعان البرق ووميضه هنالك قِبَل بلدته صببيا وقراها: نخلان، والقيعساء وربى البئـرين، ويتعــاظم الإحساس لدى الشاعر، وهو يؤكد على استمرار الذكريات في خاطره، وهي لا تزول، بل تتجدد كلما عنَّ له خاطر:

ما جرى ذكــر المغاني في ربى ... ضبـــرات الشـــط إلا انــتحبــا

ألفــاظ تحمــل المعــاني، وتثير الأحاسيس، مثل قوله: «ماجرى»، «ضبـرات الشــط»، «انتحبــا»، «أرض القعيسـا»، «لييلات»، «ربى

البئـرين»، دلالات لغـويــة، وأخــرى: زمنيــة، ومكــانية تشير إلى: المواضع، والأماكن المألوفة عند الشاعر، إنها روح حزينة صادقة أسعفها هذا الأسلوب السلسل ذو النغم الحزين، وذلك في تكوين فني بديع، إذ لم تظهر عناية الشاعر بالصنعة، ولا التكلف، إلا ما أتى وفق نهج القصيدة، وما اقتضاه المقام، ويمضي الذروي في دفع همومه، وأحاسيسه، فيطلق النداء في طالع هذه الأبيات، إذ يقول:

يا أخــلائــي بصـبيــا واللوى	وأحــيــيــابــي بتـيــاك الربــا
هل لنـــا نحــوكــم من عودة	ونــرى سدركــم والكــثــبــا
فلكـــم حاولت قلبـــي جاهــدا	يتـــسـلى عن هواكــم فأبــا
فاذكــروا صبــا بكم ذا لوعـــة	بان عنـكــم كارهــا مغـتصبــا
فإذا عن له ذكـراكــم	في أعيصــار الشبــاب انتحبــا
وإذا ماسـجـعــت قمــريـــة	صاح من فرط الجـوى واحربا
هائــم القــلب كئـيــب دنــف	لم ير السـلوان عنـكم مذهبــا
ونــرى الحــي الذي كنــا وهم	جيــرة بالشــام أيــام الصبــا
ليت شعـري بعـدنا هل طنبوا	بربــى نخــلان بعــدي طنــبــا
أو تنـــاءت دارهـــم عن دارنـــا	أو سبتهم بعـدنا أيدي سبا[٤]

لقد أحسن الشاعر حين أطلق هذا النداء، إذ يظهر أن أحاسيسه السابقة التي ظهرت في قصيدته، قد هيأت له هذا الشعور، فربما حشد هذا الإحساس عبر تلك الأبيات في محاولة لدفع هذا الألم، ولما أعياه ذلك نادى أولئك الصحاب في: «صبيا، واللوى»، ومن في أحــوازهما نداء صادقا يخرج من أعماق الفؤاد، ولكنه لشدة هذا

الشعور الحزين يسرف في إذكاء هذه الروح مرددا بعض عناصر بيئته المألوفة في حياته، مثل: «السدر» الذي يكثر وجوده في وطنه، ويزيد في إحاساسه انبعاث صوت تلك الساجعة التي تردد في أيكها صوتا عذبا أذكى في نفسه حزنا دفينا، إذ أنها كلما غنت في روضها، وعلى أغصان أيكها هيجت الآمه، فهو:

هائم القلب كئيب دنف لم ير السلوان عنكم مذهبا(٥)

ومع تزايد الألم في ذات الشاعر، يزداد وقع الذكريات في خاطره من خلال تركيزه عليها، إذ يبديء رغبته في رؤية ذلك الحي الذي ألفه أيام الصبا، حيث حدد مكانه في قوله:

ونرى الحي الذي كنا وهم جيرة بالشام أيام الصبا(٦)

وحين يبلغ الشاعر قمة الأماني، والذكريات يعود منكسراً في: يأس، وقنوط يمزج: أحلامه، وأمانيه بشيء من أسباب الأمل، إذ يقول:

ليت شعري بعدنا هل طنبوا بربي نخلان بعدي طنبا
أو تنأت دارهم عن دارنا أو سبتهم بعدنا أيدي سبا(٧)

وعلى الرغم من وضوح الروح التقليدية الظاهرة في تلك الأبيات نجد الشاعر قد ملّ مقامه في الأسر، وحنّ إلى ذكرياته، وأمانيه، حيث أخذ يعتب على الدهر، ويعجب منه، وهو يعتب على عزين، إذ يقول:

عجبا للدهر ماذا سنّه ولأحداث الليالي عجبا
ما طلبت السهل إلا صعبا أو طلبت السلم إلا حربا
ولقد حلت بقلبي نوب مصميات تستهل النوبا
وبلاني من زماني محن بلغ الضد بها ما طلبا
فلعمري ما نبا إلا صفا وانتضى إلا حساما خشبا

غيـر لا أنــكــر معــروفــا ولا   عابس الوجــه إذا الدهــر كبــا
لا ولا مكــتـئـبــا لو أنــه   نهــب الحــوبــاء فيمــا نهبــا
وأشــد النــاس بأســا لو علي   غارب المكــروه يومــا ركبــا[٨]

لقد عجب الشاعر من الدهر، وهو يعجب من عزيز، أين الذروي من قدرة الله؟ وحكمتــه، لقــد تجــاسر فنطق بالشكوى، ولم يدرك الحقيقة، إن الله بالغ أمره رضى الذروي، أو لم يرض! وعلى الرغم من ذلك ندرك في هذه الأبيات قوة تحمل الشاعر وعزمه، وأنه قد مزج روحــه القــويــة بروح التأمل والحكمة في معادلة إنسانية مقبولة يسعفها أسلوبه البياني الظاهر في بيته الأخير.

وإذا كان الذروي قد عجب من الدهر في أبياته السابقة، فإنه لم يلبث أن عاد محزونا متأملا يشكو حاله، ويظهر حنينه، إذ انطلق في أبيــاتــه الآتية يخاطب ذويه، ويظهر ألمه وفراقه في روح ممزوجة بالمدح والفخر، إذ قال:

إخــوتي بالشــام بل ياســادتي   وأعــز النــاس أمًــا وأبــا
ومـســاعــيــر الوغى من هاشم   وبنى الحــرب إذا ضاق القبــا
الشنــاخيب الذرى من معشــر   الصــنــاديــد الكــرام النجبــا
إن قضـيــتــم من هوانــا أربــا   ما قضـيــنــا من هواكــم أربــا
أو تنــاءت دارنــا عن داركــم   يأتــكــم منــا على البعــد نبــا
لا تنــاســونــا وإن طال المــدى   كم نوى بعــد بعــاد قربــا
فإذا ريــح جنــوب جنــبــت   فاســألوهــا كيف حال الغــربــا
فلديــهــا من تنــاهــى لوعــتــي   وغــرامــي ما يحــط الشــهــبــا
حبــذا لو أنــنــي من دونــكــم   خائضــا سمــر العوالي والظبا

وجيـــاد الخيـــل ينثـــرن على   متـــنـــات الدارعـــيـــن العـــذبـــا
لحـــق الأقـــراب شعثـــا شزبـــا   تتـــبـــارى بالعـــوالي شزبـــا(٩)

لقد أسهب الشاعر في ذكر ذويه وعشيرته، ومال إلى مدحهم، والفخر بهم، وهو حين أطال في ذكرهم يدلل على إسرافه في هذا الجانب، ويشير إلى روحه القبلية، وحماسته المعهودة، ويدل أيضا على ولعه بمظاهر بيئته، والإكثار من ذكر عناصرها والإشارة إليها، مما وصف أماكن تلك العشيرة بمظهر السؤدد والشرف، ولكنه لا يبعد حتى يأتي إلى قوله:

لا تنـــاســـونـــا وإن طال المـــدى   كم نوى بعـــد بعـــاد قربـــا
فإذا ريـــح جنـــوب جنـــبـــت   فاســـألوهـــا كيف حال الغـــربـــا
فلديـــهـــا من تنـــاهـــى لوعـــتـــي   وغـــرامي ما يحـــط الشهبـــا(١٠)

لم يجـد الشــاعر السبيل لبسط لواعج ألمه إلا عن طريق هذا العنصر البيئي الذي يألفه الشاعر، ويدركه، إنه الريح التي تنبعث في سيرها من قبل الجنوب، لقد عدّها الذروي من المعادل النفسـي المــوضـــوعي الذي يستغله الشعــراء لبسط آلامهم، والتعبير عن أحاسيسهم، إنه يحملها الجواب، ويتوقع لها السؤال، وهي لا تلوي على شيء، وإنمـا هي مستـديمة في سيرها تشهد آلام الشاعر، وتـدرك آمال ذويه، وشعورهم، لكنها مأمورة مرسلة، فسبحان من أنشـأها ودبرها، وقنن انبعاثها ومسيرها، لقد علم الذروي قصور إرادتـه، ولكنــه لم يضعف أمـام أحزانه وآلامه، بل ظل يظهر قوة إرادتـه، وروحـــه الفتية، ولما لم يجد السبيل ميسرا للتنفيس عن أحاسيسه، انصرف إلى البحث عن مظهر كوني من خلاله يستطيع

أن يثيـر هذه الأحاسيس، ويظهرها للناس، وكانت هذه الريح أملا لإظهـار هذا الشعـور، ويـؤكد الشاعر على هذا الشعور النفسي المنبعث من فؤاده فيـطلق مرة أخـرى نداءه، ويشيـر إلى بلاده مستخدماً لفظ الشام الذي تكرر مرارا في هذه القصيدة، إذ يقول:

أيـهـا الرائـح للشـام على ... قلق السيـر كهبـات الصبـا
أوكـسـهـم طار من محـنـيـة ... ذات دوريـن إذا ماركـبـا
قل لمـن كان لنـا دون القضـا ... ولأحـداث الليـالي سبـبـا
والذي أوقـد نيـران الغـضـا ... زد على نارك ياذا حطبـا
واستلب ماشئت عمـدا فعسى ... عن قليـل تستـحـط السلبـا
إن يكـن سرك ما ساء فعش ... كي ترى من بعـد هذا عجـبـا
أو أمنت الدهـر يومـا واحـدا ... فلقـد حاولت ظنـا كذبـا
رب صدع كان أعـيـا شعـبـه ... أدركـتـه رحـمـة فانـشـعبـا
كم سرور بعـد يأس قد أتـى ... وزمـان بعـد محـل أعـشبـا
فلكـم فتـح من الله أتـى ... حيـث لا يدرك ساع هربـا
فجـلا همـا وطفّـى حرقـا ... وشـفـى غيـظا وجـلى كربـا
وأعـادت رحمـة البـاري على ... مُؤنس من حاله ما ذهـبـا
إن خبـوني عنـك في مستودع ... فشـهـاب العـزم مني ماخبـا
أو ملا جفـنيـك لذات الكـرى ... فجفـوني والكـرى ما اصطحبا
رب ليـل بتـه مرتـقـبـا ... لطلاب الثـأر أرعى الشهبـا(١٠)
أرقـب النسـر هزيعـا طالعـا ... وأراعـى الغـفـر مهمـا غربـا
لنـهـار تنـقـط السـمـر به ... في الوغى ما شكلت بيض الظبا
والمـذاكـي في لظى معـركـة ... عاديـات ينـشـرن الغيـهبـا
رب أن يقص به ذو أرب ... موجـع القـلب أسـيـر أربـا
ويـنـال المـرتـجـى من ربـه ... في أعـاديـه الذي قد طلبـا(١١)

وينهى الشاعر بناء قصيدته بروح قوية يستهل أبياتها الأخيرة بنـداء ظاهـر لم يخل من اليأس والألم، ولم يتصف بروح الهدوء والسكينـة، وإنما ذكر مَنْ سعى في أسره، وأظهر الشماتة نحوه، حيث أضحت قصيدته مليئة بروح الفخر، ومتصفة بوضوح العزم، ومع ذلك لم يصرف قوله لهذا الجانب وحسب، وإنما مزجه بروح: التفاؤل، والأمل يستمد منها قوة الإرادة، ويطمع في الفرج من الله، وقد تم هذا الأمل، إذ نجى الذروي من سجنه في قصة عجيبة تشبه الخيال، ولعل هذه النفس المتفائلة ذات الملامح الذاتية قد ظلت ملازمة لفكرة القصيدة حتى ختمها الشاعر بتلك النظرة التي يأمل فيهـا أن ينـال في تحقيقهـا رضـا نفسه، وملء، فؤاده بالسعادة والحبـور. وتـأتي خاتمة القصيدة تقليدية معهودة، ولكنها تتصف بالسلاسة والعذوبة في تكرار بعض ألفاظها التي تزيد المنشد لها سعادة وحبورا، يقول:

وصـــلاة الله تغشى دائمـاً	**أحمد المختار ماهبّ الصبا**
أحمـد المختار محمود النبا	**من رقى السبع السما والحجبا**

أقول وقد وقفت إزاء هذه الأبيات وقفة سريعة: إنّ مظاهر الجمال الأسلوبي في هذه الأبيـات قد أتى من قدوة الشاعر على توظيف الدلالات اللغـويـة، وحسن اختيار القول، كما أن لصدق التجربة ووضوحها أثرا في تعاطف القاريء مع النص، فضلا عن تطعيم هذه الأبيات بذكر أسماء المواضع، والإشارة إلى بعض مظاهر البيئة التى يألفهـا الشعراء، ويعدونها من أسباب دفع الألم، وإضعاف الشعور بالحزن، لقد أتى أيضا وضوح الأسلوب وسهولته موافقا لشعور الشاعر، مما حمل لنا واقعه، وعبر عن تجاربه، فكأن الناظر

لهـذه الأبيات يشهد الواقع البيئي لتهامة من خلال معالم الحياة الطبيعية الماثلة في: الربى، والحزون، والشطوط، والأودية حتى أنه يشير إلى مظاهر البيئة الطبيعية فنشهد: السدر مثلا وقد ارتسم في مخيلة الناظر لهذه الأبيات، وكأنه قد شهد ذلك الواقع عن كثب ورآه، ويزداد الإحساس وضوحا عند مَنْ شهد مظاهر الطبيعة في تهامة وعلم بسماتها وصفاتها، فكأنه يشهد دأب الحياة في: زراعتها، ورعاتها وحركة الأهلين فيها، إنها حياة مليئة بالإيثارة والعجب، فالحق أن هذه الأبيات تعد شاهدا على العصر الذي قيلت فيه سواء في حياتها: السياسية، أم الأدبية، ولعل مَنْ أرّخ للأدب في بلادنا يفيد من: مثل هذا النتاج الأدبي، ويسعى في سد النقص الذي وقع فيه المنهج، التاريخي القائم لهذا الأدب، وهو عند ذلك لن يعدم وفرة هذا النتاج، ولا جودة تعبيره، وقيمته الفنية.

هوامش التحليل، وتعليقاته:

(١) انظر: «المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان» للعقيلي ص ٤٠٨.
(٢) انظر: «ديوان الجراح» ص ١٠.
(٣) الجراح بن شاجر الذروي، «ديوانه»، تعليق العقيلي ١٠
(٤) المصدر نفسه، ص ١١.
(٥) المصدر نفسه، ص ١١.
(٦) المصدر نفسه، ص ١١.
(٧) المصدر نفسه، ص ١١.
(٨) المصدر نفسه، ص ١١.
(٩) المصدر نفسه، ص ١١، ١٢.
(١٠) المصدر نفسه، ص ١٢.
(١١) المصدر نفسه، ص ١٢.

المصادر والمراجع :

أولا : المخطوطات :

- أبـو الرجـال، أحمد بن صالح. «مطلع البدور ومجمع البحور»، مخطوط، توجد منه نسخة محفوظة في مكتبة القاضي محمد الحجّي الخاصة بمدينة ذمار اليمنية في أربعة أجزاء تقع في مجلدين، نسخ الأول سنة ١٣٤٢هـ. والثاني سنة ١٣٤٣هـ، وتوجد صورة منه لدى الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي، الرياض، وهي النسخة التي تم الاعتماد عليها هنا.
- عاكش، الحسن بن أحمد. «الديباج الخسرواني بذكر أعيان المخلاف السليماني» مخطوط، نسخة خطية، توجد في مكتبة المحقق الخاصة بحث رقم ٤٧، أبها.
- العمودي ، عبدالله بن علي. «تحفة القاريء والسامع في اختصار تاريخ اللامع»، نسخة مخطوطة محفوظة في مكتبة إبراهيم العمودي الخاصة، الرياض بدون رقم
- النعمي، محمد بن حيدر. «الجواهر اللطاف المتوجة بها هامات الأشراف من سكان صبيا والمخلاف، المغني بإضاءتها عن شرقات السلاف»، مخطوط، توجد نسخة مصورة منه لدى المحقق، بدون رقم.
- ابن هتيمل، القاسم بن على. «ديوانه»، مخطوط، توجد نسخة مصورة منه لدى المحقق، بدون رقم.

ثانيا : المطبوعات :

- ابن الأثير الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد. «جامع الأصول في أحاديث الرسول»، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، نشر وتوزيع مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان (١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م).
- أمين، بكري شيخ. «الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية». ط١، مط دار صادر، بيروت، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
- الحجري، محمد بن أحمد. «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» مج ٢،١، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، ط١، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، مشروع الكتاب ١٦/ ١ (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
- ابن الحسين، يحيى. «غاية الأماني في أخبار القطر اليماني»، تنحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، منشورات دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).
- الحموي، ياقوت. «معجم البلدان»، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
- الذروي، الجراح بن شاجر. «ديوانه»، تعليق محمد بن أحمد العقيلي، بدون معلومات أخرى للنشر.

ـ الرازي، محمد. «مختار الصحاح»، ط١، نشر دار الكتاب العربي، بيروت (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).
ـ زبارة، محمد بن محمد. «نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر»، ح ١،٢، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ط١ (١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م).
ـ الزركلي، خير الدين. «الأعلام»، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).
ـ السباعي، أحمد. «تاريخ مكة»، ط٦، مطبوعات نادي مكة الثقافي (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
ـ العصامي، عبدالملك بن حسين. «سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي»، ج٤، المطبعة السلفية، مصر بدون تاريخ.
ـ العقيلي، محمد بن أحمد. «أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان»، مط دار مكة للطباعة والنشر، منشورات نادي مكة الثقافي، بدون تاريخ.
ـ العقيلي، محمد بن أحمد. «تاريخ المخلاف السليماني»، ط٢، من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).
ـ العقيلي، محمد بن أحمد. «المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان»، ط٢، مط نهضة مصر، منشورات النادي الأدبي بجازان، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
ـ مصطفى، ابراهيم، وآخرون. «المعجم الوسيط»، المكتبة العلمية، طهران، بدون تاريخ.
ـ ابن منظور، جمال الدين، «لسان العرب»، مط كوستاتسوماس،

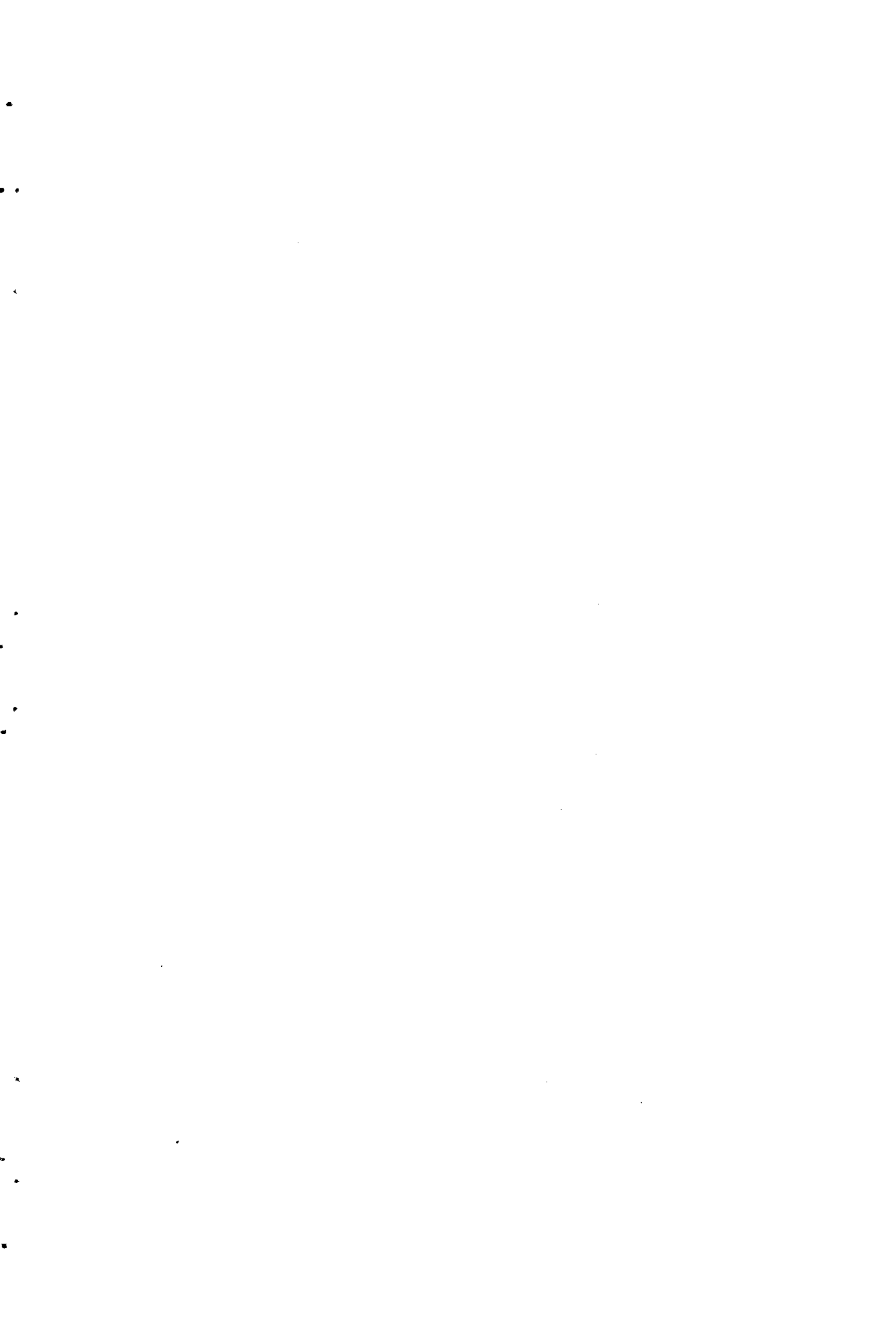
مصـــر، طبعــة مصورة عن طبعة بولاق، منشورات الدار المصرية للتأليف والترجمة بدون تاريخ.
- ابن هتيمل، القاسم بن علي. «ديوانه: دراسة تحليليـــة» محمــد بن أحمــد العقيـلي، ط١، دار الـكتاب العــــربي مصــر (١٣٨١هـ/١٩٦١م).

الرسائل الجامعية :

- الحكمي، أحمـــد بن حافـظ بن أحمـد «الشعــر اليمني ٥٦٩ - ١٠٤٥هـ»، رسالة دكتوراه مقدمة منه لكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٣ م.

الدوريات :

- البلادي، عاتق بن غيث. «بائية الذروي سببها بائية قبلها»، مجلة المنهل، ح ٤٧٩، س ٥٦، مح ٥١، (شعبان ١٤١٠هـ).
- العقيلي، محمد بن أحمد. «حول تاريــخ المخـلاف السـليماني: تعليـق على مقالـين»، مجلـــة المنهـل، ج ٩، س ٢٣، مح ٢٠، (ذو القعدة ١٣٧٨هـ).



الفهارس، والكشافات

اولا : فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثا : فهرس الشعر (القوافي).

رابعا : فهرس صدور الأبيات.

خامسا : فهرس الأعلام.

سادسا : فهرس : القبائل، والمواضع، والبلدان، والأسر، والأجناس، وغيرها.

أولا: فهرس الآيات القرانية :

م	الآيـــة	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
(١)	«... وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ في سَمِّ الْخِيَاطِ..»	من آية ٤٠	الأعراف	٧	١٧
(٢)	«... أوِ التَّـبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ....»	من آية ٣١	النور	٢٤	٥٨
(٣)	«... رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى والِديَّ وأنْ أعمل صَلِحًا تَرضَـــهُ وأَصْلِحْ لِي في ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»	من آية ١٥	الأحقاف	٤٦	٨

ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة:

م	الحـــديث	الصفحة
١	«اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا»	٥٧

ثالثاً: فهرس الشعر «القوافي»:

القافية	الصفحة	القافية	الصفحة
	حرف اللام	حرف الهاء	
ابن علي	١٧	وحيفها	١٦
ابن علي	١٨		

رابعا : فهرس صدور الأبيات:

«ومساعير الوغى من حسن»	٤٨
«حبذا صلب القعيسا وطني»	٤٨

خامسا : فهرس الأعلام:

حرف الزاء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

سادسا : فهرس: القبائل، والمواضع، والبلدان، والأسر، والأجناس، وغيرها

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف العين

حرف الغين

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

المحتويات

المحتويات

طبعت بمطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دارالعلم) بجدة
ص.ب ٤٧٩٧ جدة ٢١٤١٢ ت: ٦٧١٢١٠٠ المملكة العربية السعودية